مجلة جامعة حمص

سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 47 . العدد 9

1447 هـ - 2025 م

الأستاذ الدكتور طارق حسام الدين رئيس جامعة حمص **المدير المسؤول عن المجلة**

أ. د. وليد حمادة	**رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الإنسانية**
د.نعيمة عجيب	**رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية**

د.محمد فراس رمضان	عضو هيئة التحرير
د. مضر سعود	عضو هيئة التحرير
د. ممدوح عبارة	عضو هيئة التحرير
د. موفق تلاوي	عضو هيئة التحرير
د. طلال رزوق	عضو هيئة التحرير
د. أحمد الجاعور	عضو هيئة التحرير
د. الياس خلف	عضو هيئة التحرير
د. روعة الفقس	عضو هيئة التحرير
د. محمد الجاسم	عضو هيئة التحرير
د. خليل الحسن	عضو هيئة التحرير
د. هيثم حسن	عضو هيئة التحرير
د. أحمد حاج موسى	عضو هيئة التحرير

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة حمص

سورية . حمص . جامعة حمص . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.homs-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : journal.homs-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة حمص

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسـبة لكليات (الآداب – الاقتصـاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

ـ كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي ـ العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشـر في المجلة يدل ضـمناً على عدم نشـره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة ـ الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة ـ سنة النشر ـ وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة ـ دار النشر وتتبعها فاصلة ـ الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

ـــ بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة ـــ المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة ـــ أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة حمص

1. **دفع رسم نشر (50000) ل.س أربعون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (200000) ل.س مئة الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (15000) ل.س ستة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
أحوالُ الإتباعِ الصوتيِّ بينَ الحركاتِ وأحرفِ العلّة والحلقِ	د.محمد عامر دبوري	30-11
قاعدةُ الشَّبه في التَّعليلِ النَّحويِّ أثرُها وضوابطُها	د.عمر محمد زكريا مندو	52-31
الحواريَّةُ اللغويَّةُ في مشاهدِ أخبارِ صدرِ الإسلامِ وعصرِ بني أميَّةَ	رنا شاهين أ.د.سمر الديوب	97-53
إدراك وإنتاج طلاب اللغة الإنكليزية في جامعة حمص للتغيرات التي تطرأ على الوحدات الصوتية	عائشة الحلاق د. موريس العمر	138-98
Consciousness-Raising of Discourse Markers and Its Effect on EFL Writing Competency	أمل رعد د .ظافر صيبعة	171-139

أَحوالُ الإتباعِ الصوتيِّ بينَ الحركاتِ وأَحرفِ العلة والحلقِ

إعداد الدُّكتور محمّد عامر دبّوري

جامعة حمص – كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الاختصاص نحو وصرف

ملخصُ البحثِ:

أحرفُ العلة والحلقِ في العربية تختصُّ بأوضاعٍ يصفها النحاةُ بأنها من التجانسِ، أو المشاكلةِ، أوالإتباعِ، أوالتناسبِ أوغيرِ ذلك من الألفاظِ التي يريدونَ بها ما يدلُّ على طلب الخفةِ في نطقِ ألفاظٍ فيها حرفٌ من أحرفِ العلةِ أو الحلقِ، فمن ذلك أنّ الأفعالَ المضارعةَ مما عينُهُ أو لامُهُ حرفُ حلقٍ تُفتَح عيناتُها فيُقالُ: يَذهَبُ، ويَسأَلُ، ويَنْهَضُ؛ لأنّ خفةَ الفتحةِ تعدِّلُ من ثقلِ حروفِ الحلقِ، والاسمُ الثلاثيُّ الذي عينُهُ حرفُ حلقٍ، من نحو:(فَخِذٍ) يقال فيه: فِخِذٌ لثقلِ الانتقالِ من الفتحةِ إلى الكسرةِ، وتوالي ضَمتينِ في قراءةِ (الحمدُ لُلله) تخفيفٌ لثقلِ الانتقالِ من ضمةِ الدالِ إلى كسرةِ اللام بعدها.

ومن هذا الصنفِ قلبُ الواوِ والياءِ والهمزة ألفاً في: قالَ، وباعَ، وراسٍ لخفةِ الأداءِ الحاصلِ من الإتباعِ بين الفتحةِ والألفِ بعدها، وكذلك قلبُ الواو ياءً في نحو: مِيزانٍ، لخفةِ الأداءِ بالإتباعِ بين الكسرةِ والياءِ بعدها، و كذلك قلبُ الياءِ واواً في نحو: مُوقنٍ، لخفةِ الأداءِ من الإتباعِ بين الضمةِ

والواوِ بعدها، وكلُّ ذلك أشارَ إليه علمُ اللغةِ المعاصرُ، ولذا حوى البحثُ موازنةً بين كلامِ النحاةِ وكلامِ بعضِ الباحثينَ المعاصرينَ في علمِ اللغة.

Research summary:

Vowels and velar letters in Arabic are distinguished by certain cases whih the grammarians called homogeneity, similarity or annexation. These nicknames denote the lightness of performance. For example, when we have a verb in the present tense in ehich the second or third original letter is velar, the second letter should take (fatha). so we say: yazhabu, yas'slu and yanhadu, because the lightness of the (fatha) lightens the heaviness of velar letters. As for the names consisting of three letters in which the second original letter is velar like (fakhizin) we should say fikhizun because of the heaviness of moving from the (fatha) to the (kasra). Also, the two successive (dammas) in (alhamdu lullah) is a case of lightness because of the lam (1) letter after it.

Another example of this category is the conversion the waw (o), ya'a (I) and hamza (a') letters to become alif (a), like in: Kala, ba'a and rasin because of the lightness of performance in homogeneity between the (fatha) and the (alif) letter after it, and the conversion of the waw (o) lettr to become va'a (I) in the word: (mizan) because of the lightness of performance in homogeneity between the (kasra) and the ya'a (I) after it. Also, the conversion of ya'a letter (I) to become waw (o) in: (mowkin) because of the lightnese of performance in homogeneity between the (damma) and the waw letter (o) after it. All of the above cases were mentioned in modern linguistice, so this research contains a comparison between the speech of the grammarians' opinion and the opinion of some modern researchers in linguistics.

أحوالُ الإتباعِ الصوتيِّ بين الحركاتِ وأحرفِ العلةِ والحلقِ

المقدمة:

تنصبُّ العنايةُ في هذا البحثِ على ما يسميه النحاةُ بالإتباعِ أو التجانسِ أوِ التناسبِ أو غير ذلك من المصطلحاتِ التي يرادُ بها إطلاقُ صفةٍ على بناءٍ فيه حرفُ علةٍ أو حلقٍ، فإنَّ هذه الحروفَ يُلتزَم فيها أن تأتيَ حركاتُها على هيئةٍ مخصوصةٍ، تُغايرُ ما عليه نظائرُها من بقيةِ الحروفِ، وتماشى تقسيمُ البحثِ مع مراتبِ الحركاتِ في الخفةِ والثقلِ، فكان البدءُ بالفتحةِ؛ لأنَّها أخفُّ حركةٍ، وتلا ذلكَ الكلامُ على الكسرةِ، ثم خُتِمَ البحثُ ببيانِ حال الضمة.

وأبرزُ ما يبيَّنُ في هذا البحثُ يتعلقُ بأوضاعِ أحرفِ العلةِ والحلقِ في الأبنيةِ العربيةِ، وصلتها بتحقيقِ الفصاحةِ والتلاؤمِ بين حروفِها، وإبعادِ التنافر عنها والثقلِ ذلك أنَّ المتكلمَ بالعربية وغيرِها لابدَّ أن يعرفَ الكيفياتِ المناسبةِ للنطقِ مع مراعاةِ ما تختصُّ به كلُّ لغةٍ من الأحرفِ وأصواتِها، وما اصطلحَ عليه واضعو قواعدِها من التعريفاتِ والحدودِ، ولا يخفى أنَّ علماءَ اللغةِ العربيةِ وضعوا لكلِّ بابٍ منها ما يخصُّهُ من الضوابطِ وضعاً واضحاً، ومنها بابُ مخارجِ حروفِها وما لها من الصفاتِ.

والفائدةُ المنشودةُ فيه تتلخصُ ببيانِ ما لصفاتِ أحرفِ العلةِ والحلقِ من سعةٍ في دراسةِ أبنيةِ اللغةِ العربية، ذلك أنَّ قواعدَ الصرفِ تتوجَّهُ إلى ذكر تلكَ الحروفِ في أكثر المسائل، بل لا توجدُ كلمةٌ عربيةٌ إلا وفيها إحدى الحركاتِ الثلاثِ أو اثنتينِ منها أو ثلاثاً، والفتحةُ أشْيَعُها لأنها الأخفُّ، وكذلك الألفُ أشْيعُ من الواوِ والياءِ وشيوعُ الفتحةِ والألفِ لاينفكُّ عن مخرجهما وهو الحلقُ، ومن هنا تظهرُ صلةٌ وثقى بينَ أحرفِ العلةِ والحلقِ، وهذا ينفعُ كثيراً في ما يجنحُ إليه متكلمو العربيةِ من تغييراتٍ في هذه الحروفِ تحققُ الفصاحةَ والسهولةَ في النطقِ، أي الوقوفُ على ذلك ذو أهميةٍ ظاهرةٍ في شرحِ ما يحتاجُ إليه المتكلمُ من معرفةِ قوانينِ التصريفِ في العربيةِ، فحدودُ هذا البحثِ محصورةٌ في الحركاتِ الثلاثِ وأحرفِ العلةِ والحلقِ، وكلُّ ذلك وصفٌ لأحوالٍ لفظيةٍ يشملُها مصطلحُ الإتباعِ، ومعناهُ العامُّ في اللغةِ التلاحقُ بينَ شيئينِ أحدهما سابقٌ والآخرُ مسبوقٌ، قالَ ابنُ منظور:"تبِعتُ الشيءَ وأتبعتُهُ مثلُ ردِفتُهُ وأردفتُهُ...قالَ أبو عبيد: أَتْبَعتُ القومَ مثلُ أفعَلتُ إذا كانوا قد سبقوكَ فلحقتَهم قالَ: واتَّبعتُهم مثلُ افتعلتُ إذا مرُّوا بكَ فمضيتَ، وتبِعتُهم تَبَعاً مثله، ويقالُ مازلتُ أتَّبعهمُ

حتى أتْبعتُهم أي حتى أدركتُهم، وقال الفراءُ: أتْبَعَ أحسنُ منِ اتَّبَعَ، لأنَّ الاتِّباعَ أن يسيرَ الرجلُ وأنتَ تسيرُ وراءَهُ، فإذا قلتَ أتْبعتُهُ فكأنَّكَ قَفَوتَه"[1]

ومنْ المعنى اللغويِّ للإتباعِ يظهرُ أنَّ النحاةَ توسعوا فيهِ، واستعملوهُ في وصفِ أحوالِ اللفظِ العربيِّ، وأوردَه ابنُ جني في كتابه المنصفِ فقال:" وأنشدوا:

هَتَّاكُ أخبيةٍ وَلاَّجُ أَبوِبةٍ يخلطُ بالجدِّ منهُ البرَّ واللِّينا[2]

فجمَعَ باباً على أبوبةٍ إتباعاً لأخبيةٍ، وقالوا فيما هو أغلظُ من هذا:هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ، فجرُّوا الخربَ وهو من صفةِ المرفوعِ، ولكنْ لما ولِيَ المجرورَ جُرَّ إتباعاً، وهو غلطٌ منهم، وهذا بابٌ واسعٌ لا يُضبطُ، فلهذا غيَّروا نحوَ اصطبر ليكونَ العملُ من وجهٍ واحدٍ"[3]

وما قالهُ ابنُ جني هنا يقتضي أنَّ الإتباعَ يستعملُ عنده وعند باقي النحاةِ في وصفِ أحوالٍ لفظيةٍ، فيعُمُّ أحوالاً إعرابيةً وتصريفيةً، وإشارة ابن جني إلى سعةِ هذا البابِ تدلُّ على أنَّه يحتوي على القياسيِّ والشاذِّ من تلك الأحوالِ، ثم إنَّ هذا البحثُ يُورِدُ أراءَ عامة من كتبٍ يردُ فيها ما يقاربُ معنى الإتباعِ في العربية، لكنَّها لا تضعُ حداً له بل فيها أمثلةٌ مختارةٌ من العربيةِ وغيرها.

1 – الفروقُ في أوصافِ حروفِ العلة:

([1]) – لسان العرب (ت ب ع) (27/8)، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ 1988م ،بيروت.

([2])– البيتُ في ذيل ديوانِ ابن مقبل 406، والمعنى عند التبريزي أنَّ هذا الممدوح يغِيرُ على أعدائه فيستبيحهم ،ويقتلعُ بيوتهم ،وهو يجِدُّ في موضع الجدِّ ويلينُ في موضع اللين(تهذيب الألفاظ 4)، ديوان ابن مقبل ،تحقيق الدكتور عزة حسن ،وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1962م، تهذيب الألفاظ لابن السكيت، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1، 2005م.

([3])– المنصف 326/2،المنصف شرح أبي الفتح ابن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، البابي الحلبي، ط1، 1954م.

تختص بعضُ أبنيةِ الكلماتِ العربية بأن تكون حركةُ الحرفِ السابقِ لحرفِ العلة مجانسةً له، وحينئذٍ يُسمَّى حرفَ مدٍّ ولينٍ ويجاورُ همزةً أو حرفاً مشدَّداً أو غيرَ مشدَّدٍ، وإنْ كانتْ حركةُ الحرف الذي قبله فتحةً وهو ساكنٌ سُمِّيَ حرفَ لينٍ فقط، وقد يصيرُ اللينُ مداً أيضاً إذا أتى بعدهُ الهمزُ أو التشديدُ، وصفةُ اللينِ تستأثرُ بها الواوُ والياءُ، أما الألفُ فهي للمدِّ واللينِ أبداً.

قال مكي: «المدُّ لا يكون إلا في حروفِ المدِّ واللينِ، وهي الألفُ التي قبلها فتحةٌ، والواوُ التي قبلها ضمةٌ، والياءُ التي قبلها كسرةٌ، وإنما يكون المدُّ في هذه الحروفِ عند ملاصقتهنَّ لهمزةٍ أو ساكنٍ مشدَّدٍ، أو غير مشدَّدٍ، نحو: جاءَ، وقائمٌ، ودابَّةٌ، واللائيْ في قراءةِ مَن أسكنَ الياءَ، ويكون المدُّ أيضاً في حرفي اللينِ إذا أتتْ بعدهما همزةٌ أو مشدَّدٌ، وحرفا اللينِ الواوُ والياءُ الساكنتان اللتانِ قبلهما فتحةٌ نحو: شَيْءٍ، وسَوْءٍ»[1].

وما يعنينا هنا هو مجيءُ الألفِ، والواوِ، والياءِ للمدِّ واللينِ، وهما صفتان تشترك فيهما هذه الحروفُ إذا كانت زائدةً أو أصليةً، فإن كانت زائدةً سميت حروفَ إشباعٍ، ولا تكون إلا ساكنةً؛ لأنها تتمحَّضُ لغرض المدِّ. قال ابن جني: «فالمتحركُ إذن على ثلاثةِ أضربٍ: مفتوحٍ، ومكسورٍ، ومضمومٍ، فالمفتوحُ هو الذي إذا أُشبِعتْ حركتُه حَدَثت عنها ألفٌ، نحو ضادِ (ضَرَبَ) لك أن تشبعَ الفتحةَ فتقول: (ضاربٌ)، والمكسورُ هو الذي إذا أُشبِعتْ حركتُه حدثت عنها ياءٌ نحو ضاد: (ضِراب) لك أن تشبع الكسرة فتقولُ: ضِيرابٌ، والمضمومُ هو الذي إذا أُشبِعت حركتُه حدثت عنها واوٌ نحو ضادِ (ضُرِبَ)، لك أن تشبعَ الضمةَ فتقولُ: ضُورِبَ، إلا أنَّ هذه الحروفَ اللائيْ يَحدُثْنَ لإشباعِ الحركاتِ لا يكنَّ إلا سواكنَ؛ لأنهنَّ مدَّاتٌ، والمدَّاتُ لا يتحرَّكنَ أبداً»[2].

وتستأثر الألفُ كما تقدَّمَ بدوامِ ملازمتها للمدِّ بخلافِ الواوِ والياء؛ لأنها لا تكون إلا ساكنةً بخلافِهما فإنَّهما تتحرَّكانِ في بعض المواضع، ولذا تشبَّهانِ بها في المدِّ واللينِ والمشبَّهُ به أصلٌ والمشبَّهُ فرعٌ. قال أبو حيان في خصائصِ الألف: «ومنها لزومُها لزيادةِ المدِّ دون أُختيها؛ لأنه قد تفارقُهما، ومنها

(1)–الكشف عن وجوه القراءاتِ السبع 45/1، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة،ط3، 1984م.

(2)– سر الصناعة 27–28 ،لابن جني ،تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1 ،1985م.

أنها لا تكون إلا ساكنةً، وأختاها قد تتحركانِ وتسكَّنانِ... ومنها أنها أصلُ حروفِ المدِّ واللينِ؛ لأنّ أختيها محمولتان عليها في المدِّ»[1]

واتصافُ حروفِ العلة بالمدِّ دون غيرها من الحروفِ العربيةِ يسمى في علمِ اللغة المعاصرِ بقوة الإسماعِ. يقول الدكتور تمام حسان: «حروفُ العلةِ تؤدي مَهمَّةً جليلةً في اللغةِ العربيةِ حيث تعتبرُ أساساً لقوةِ الإسماع... في هذه اللغةِ الراسخةِ القَدَمِ في تاريخِ المشافهةِ»[2].

واستئثارُ حرف العلة بمزية المدِّ إذا كانت حركةُ ما قبله من جنسِهِ ليس معناه أنَّ المدَّ مَطٌّ لذاتِ الحركةِ قبله؛ لأنَّ مؤدى ذلك القولُ بتركُّب حرفِ العلةِ من الحركاتِ، والحرفُ في أصلِ وضعِهِ ساكنٌ ومختصٌّ بمخرجٍ والحركةُ لا مخرجَ لها. قال العُكبَري: «الحرفُ غيرُ مجتمعٍ من الحركاتِ عند المحقّقينَ لوجهين:

أحدهُما أنّ الحرفَ أصلُه السكونُ، ومحالٌ اجتماعُ ساكنٍ من حركاتٍ.

والثاني: أنّ الحرفَ له مخرجٌ مخصوصٌ، والحركةُ لا تختصُّ بمخرجٍ، ولا معنى لقولِ مَن قال: إنه يجتمع من حركتينِ؛ لأن الحركةَ إذا أُشبِعَتْ نشأ الحرفُ المجانسُ لها لوجهين:

أحدهما: ما سبقَ من أنّ الحركةَ ليستْ بعضَ الحرفِ.

والثاني: أنكَ إذا أَشْبَعْتَ الحركةَ نشأ منها حرفٌ تامٌّ، وتبقى الحركةُ قبلَه بكمالِها، فلو كان الحرفُ حركتينِ لم تبقَ الحركةُ قبلَ الحرفِ»[3].

واصطلحَ النحاةُ على تسميةِ الإتباعِ بين الحركةِ وحرفِ العلة بعدها تشاكلاً وتجنيساً، وهما قريبا المعنى منه، لأنَّ المصطلحاتِ الثلاثة تدلُّ على تحقُّقِ الخفةِ في الكلمة، و ربط الدكتور محمد خير الحلواني بين الخفةِ ومصطلحِ الاقتصادِ اللغوي في علمِ اللغةِ الحديث، قال: «ومِن الممكنِ أَن نربطَ

(1)- تذكرة النحاة 115، لأبي حيان الأندلسي ،تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت ،ط1 ، 1986م.

(2)-اللغة العربية معناها ومبناها 71، لتمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1973م.

(3)-اللباب في علل البناء والإعراب 63/1- 64، لأبي البقاء العكبري، تحقيق غازي طليمات، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي.

بين هذه العلةِ[1]، وما يسميه علمُ اللغةِ الحديثُ بقانون الاقتصادِ اللغوي، ويعني به أنّ المتكلم يحاول أن يوصِلَ ما في ذهنه من أفكارٍ، أو ما في نفسِه من إحساساتٍ مع أقلِّ جَهْدٍ عضليٍّ مبذولٍ، وقد عبَّر عنه القدماءُ بالاستخفافِ» [2].

2 – تحقيقُ الإتباعِ بين الفتحةِ والألفِ:

أ – التزامُ الفتح في حروفِ الحلقِ وما جاورها طلباً للتخفيف:

يختارُ العربُ في بعضِ الأبنيةِ فتحَ ما جاورَ حرفَ الحلقِ ولو خُولفَ القياسُ لِما في الفتحِ من الخفةِ، وذلك لا يخرجُ في العمومِ عن قاعدةٍ كليةٍ نصَّ عليها ابنُ هشامٍ الأنصاري فقال في باب الأمورِ الكليةِ :"القاعدةُ الثانيةُ أنَّ الشيءَ يُعطَى حكمَ الشيءِ إذا جاورهُ كقول بعضِهم :هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ بالجرِّ والأكثرُ الرفعُ"[3]

وأرادَ بالجرِّ أنَّ كلمةَ "خربٍ" مجرورةٌ لوقوعها صفةً لـ "ضبٍّ"، وعلَّلَ ورودَ الجرِّ في "ضبٍّ" بمجاورته للمضاف إليه "ضبٍّ"، ونظيرُ هذا ما يقعُ أحياناً في بعضِ الأبنيةِ من إيثارِ الفتحِ لحرفِ الحلقِ وغيرِه، لأنَّ الفتحةَ من جنسِ الألفِ، فلها وللألفِ أعلى مراتبِ الخفةِ في الحركات، ويليها في الخفة الكسرةُ ثم الضمةُ. قال أبو بكر ابنُ الأنباري: «الحركاتُ ثلاثٌ: فتحةٌ، وكسرةٌ، وضمَّةٌ، فالفتحةُ أخفُّ الحركاتِ، ثم الكسرةُ تليها، والضمةُ أثقلُ الحركاتِ»[4].

ولخفةِ الفتحة حرَّكَ بها العربُ كلماتٍ عيناتُها ولاماتُها من حروفِ الحلقِ طلباً للإتباعِ وما فيه من الخفةِ؛ لأنّ الفتحةَ تنشأُ من موضعِ الألفِ، أي تجاورُ أحرفَ الحلقِ ومثالُ ذلك أنَّ عينَ المضارعِ تُفتَحُ إذا كانتُ عينُهُ أو لامُهُ حرفاً حلقياً، وكانَ ماضيه الثلاثيُّ مفتوحَ العينِ أيضاً، أي يستوي الماضي والمضارعُ في فتح عينهما مع أنَّ القياسَ يقتضي التخالفَ في حركة عينهما، لكنَّ العربَ

(1)–أي إيثار الخفة.

(2)–أصول النحو العربي 114،ل محمد خير الحلواني، الناشر الأطلسي.

([3])– مغني اللبيب 894، لابن هشام الأنصاري، حققه الدكتور مازن المبارك .

(4)–إيضاح الوقف والابتداء 177، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية 1971م.

اختاروا تعادلَهما في فتح العينِ لتخفيفِ ثقلِ حرفِ الحلقِ، وسهَّلَ تعادلَهما أنَّ الفتحةَ تجاورُ في نشوئها مخارجَ الحروفِ الحلقيةِ، وبيَّنَ ابن الشجري هذه المسألةَ بقوله: «فأما ما عينُهُ أو لامُهُ حرفٌ من حروفِ الحلقِ الستةِ، فإنّ العينَ من مضارع فَعَلَ من هذا الضربِ تُفتَحُ طلباً للتشاكلِ، وذلكَ أنّ الفتحةَ من الألفِ، والألفُ تنشأُ من الحلقِ، فحرَّكوا العينَ بالحركةِ التي هي أقربُ الحركاتِ إلى حروفِ الحلقِ، ولحروفِ الحلقِ ثلاثةُ مخارجَ، فأقصاها مخرجُ الهمزةِ والهاءِ، وأوسطُها مخرجُ العينِ والحاءِ، وأدناها إلى الفمِ مخرجُ الغينِ والخاءِ، فمما وقع الحلقيُّ فيه همزةً: سَأَلَ يسأَلُ، ودَأَبَ يدأَبُ... ومما الحلقيُّ منه هاءٌ: ذَهَبَ يذهَبُ، ونَهَضَ يَنهَضُ... ومما الحلقيُّ منه عَيْنٌ: جَعَلَ يجعَلُ، ونَعَتَ يَنعَتُ»[1].

وليست فتحةُ العينِ في: يسأَلُ، ويَدأَبُ ونحوهما حقيقيةً، وإنما هي عارضةٌ؛ لأنّ ما كان على وزنِ (فَعَلَ) من الأفعال فقياسُ مضارعِهِ أن يكون على وزن يفعِلُ، أو يفعُلُ قال المبرد: «وأما ما كان على فَعَلَ فإنه يجيءُ على (يَفعِلُ)، و(يَفعُلُ) نحو: يضرِبُ، ويقتُلُ، وإن عَرَضَ فيه حرفٌ من حروفِ الحلقِ جاز أن يقعَ على (فَعَلَ يفعَلُ)، وذاكَ إذا كان الحرفُ من حروفِ الحلقِ عيناً أو لاماً»[2].

ومِن تدبُّر ما قاله المبردُ نعلمُ أنّ القياسَ ضمُّ العينِ أو كسرُها في الأفعالِ المضارعةِ من نحو: يسأَلُ و يذهَبُ ويجعَلُ، ولكنّ الإتباعَ الصوتيَّ استلزمَ الإتيانَ بالفتحةِ ليحصلَ التخفيفُ باجتماعِ المتجاوراتِ، وهي حروفُ الحلقِ وما زيدَ عليها من الفتحةِ التي يجاورُ موضعُها تلكَ الحروفَ، ويزيدُ ذلك إيضاحاً قولُ ابن جني: «فحروفُ الحلقِ لا تحرِّكُ ساكناً، ولا تسكِّنُ متحرِّكاً، بل – لَعمري – إنه يرادُ فيها الإتباعُ وتجانسُ الصوتِ»[3].

فالحاصلُ من كلِّ ذلك أنَّ فتحَ أحرفِ الحلقِ يتحققُ به الإتباعُ الصوتيُّ، أما كسرُها أو ضمُّها فيعسرُ فيه ذلك الإتباعُ، لأنَّ ثقلَ أحرفِ الحلقِ لا يحتملُ أنْ يضافَ إليه ثقلُ الضمةِ أو الكسرةِ إذا كانَ غيرَ مدغمٍ، لأنَّ الإدغامَ يهوِّنُ الثقلَ فيُكسرُ حرفُ الحلقِ كما في المضارعِ "يصِحُّ" فالعينُ فيه مكسورةٌ

(1)–أمالي ابن الشجري 210/1–211، تحقيق الدكتور محمود الطناحي، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1 ، 1992م.

(2)–المقتضب 71/1، للمبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

(3)–المنصف 307/2.

لأنّه عينَه ولامَه حرفا حلقٍ يتعينُ إدغامُهما لتماثلهما، أي تحقَّقَتِ الخفةُ في الفعل"يصحُّ" بالإدغامِ لا بفتحِ حرفِ الحلق.

ب – الإتباعُ الصوتيُّ بقلبِ الهمزةِ والواو والياءِ ألفاً:

الألفُ الساكنةُ شقيقةُ الفتحةِ، ولذلك تلازمها دوماً، فإذا كانتا في كلمةٍ فإنَّ يقتضي وجودَ المدِّ واللينِ طلباً للخفةِ بتحقيقِ الإتباعِ الصوتيِّ بين الفتحةِ والألفِ، ومن هذا استحسانُ قلبِ الهمزةِ الساكنةِ ألفاً إذا كان ما قبلها مفتوحاً، فيكونُ التخفيفُ حاصلاً بزوالِ الهمزةِ وتجاورِ الفتحةِ والألفِ، وأوضحَ ذلك ابنُ يعيش بقوله: «فالجائز[1] يكونُ في الهمزةِ الواحدةِ نحو: راسٍ في رَأْسٍ، وفاسٍ في: فَأْسٍ، وشامَلٍ في شَأمَلٍ، قلبتِ الهمزةُ في جميع ذلك ألفاً حين أُريدَ تخفيفُها، لسكونها وانفتاحِ ما قبلها»[2].

ففتحةُ الراءِ في "رأس"، والفاءِ في "فأس"، والشينِ في "شأمل" سهَّلتْ تحويلَ الهمزةِ الساكنةِ بعدها إلى حرفِ الألفِ الذي يجاورها في المخرجِ لكنَّه يخالفُها في خفَّته التي تتشابهُ مع خفةِ الفتحةِ، ورأى سوسور أنَّ اللغةَ تتصفُ بتجانسِ صفاتِها، لكنَّه لم يذكرِ اللغةَ التي يقصدها بل جاءَ حكمُه عاماً يقول: «فإنّ اللغةَ – هكذا – محدَّدةٌ من طبيعةٍ متجانسةٍ، إنها منظومةٌ من العلاماتِ التي لا أهميةَ فيها لغير الوحدةِ بين المعنى والصورةِ السمعيةِ»[3].

وثمةَ مثالٌ آخرُ هو قلبُ الواوِ والياءِ ألفاً في نحو: قالَ، وباعَ، وغَزا، ورَمَى، فلهذا القلبِ صلةٌ وثقى بالإتباعِ الصوتيِّ بين الفتحةِ والألفِ بعدها، لأنّ الداعيَ التطابقُ بين الفتحةِ والألفِ، فـ(قالَ) و(غَزَا) أصلُهما: قَوَلَ، وغَزَوَ، أي اجتمع في الأصلِ ثلاثةُ أمثالٍ هي: الفتحةُ قبلَ الواوِ، والواوُ المقرونةُ

(1)–أي القلب الجائز.

(2)–شرح الملوكي 229، وشأملٌ: الريحُ التي تَهبُّ من ناحيةِ القطبِ، وشَأملٌ مقلوبُ شَمألٍ الصحاح (شمل).

(3)–محاضرات في الألسنية العامة 26، لفردينان دو سوسور، ترجمة يوسف غازي، دار نعمان ،لبنان.

بالفتحةِ، وكذلك (باعَ ورَمَى) أصلُهما: بَيَعَ ورَمَيَ، أي اجتمع أيضاً في الأصلِ ثلاثةُ أمثالٍ هي: الفتحةُ قبلَ الياءِ، والياءُ المقرونةُ بالفتحةِ، فاستوجبَ ذلك أن يَقلبَ المتكلم الياءَ والواوَ ألفاً.

قال عبد القاهر: «فأصلُ القلبِ في الفعلِ نحو: قالَ، وباعَ، وغَزَا، ورَمَى، الأصلُ: قَوَلَ، وبَيَعَ، وغَزَوَ، ورَمَيَ، ثم إنهم استثقلوا ذلك ففرُّوا إلى الألفِ، ووجهُ الاستثقالِ أنّ الحركاتِ أبعاضٌ لحروفِ المدِّ واللين، فهي تثقل عليها كما يثقلُ اللفظُ بالمثلينِ في نحو: مدَدَ، فإذا قلتَ: قَوَلَ، وبَيَعَ كان اجتمع ثلاثةُ أمثالٍ، الحركةُ قبلَ حرفِ اللينِ، والتي عليه، ونفسُ حرفِ اللينِ، فيُزالُ ذلك الثقلُ بأن تُقلَبَ الواوُ والياءُ إلى حرفٍ تُؤمَنُ فيه الحركةُ، وهو الألفُ، إذ لا يجوزُ عليها التحريكُ، فيقالُ: قالَ، وباعَ»[1].

فتعذُّرُ تحريكِ الألفِ دفعَ ثقلَ توالي الأمثال لأنها حلَّت محلَّ مثلين هما حرفُ العلة وحركتُه، أي سكونُها مانعٌ من وطأةِ الثقلِ الحاصلِ من تحريكِ الواو والياءِ، لأنَّ هذا السكونَ فيها يحجبُ عن حدوثِ حركةٍ كما تحجبُ حركةُ الحرفِ حركةً أخرى من الاجتماعِ معها في آنٍ واحدٍ ، وشرحَ ذلك ابنُ يعيش قائلاً: «حروفُ اللينِ مضارِعةٌ للحركاتِ فكرهوا اجتماعَها، فلذلك قلبُوا نحو: قالَ، وباعَ، وبابٍ، ودارٍ إلى حرفٍ يؤمَنُ معه الحركةُ ألبتَّةَ، وهو الألفُ، ولذلك كانتِ الألفُ عندهم بمنْزلة حرفٍ متحركٍ؛ لأنها غير قابلةٍ للحركةٍ كما أنّ الحرفَ المتحركَ غيرُ قابلٍ لغيرِ حركتِهِ»[2].

فألفاظُ (راسٍ وفاسٍ وشاملٍ وقالَ وباعَ وبابٍ ودارٍ) استوتْ جميعاً في طروءِ الألفِ الساكنةِ عليها، وفي لزومِ الفتحةِ قبلها، أي تجاورُ الألفِ والفتحةِ فيها مصحوبٌ بإتباعٍ ينأى فيه اللفظُ عن الاستثقالِ .

3 – الإتباعُ الصوتيُّ بينَ الكسرةِ والياء:

يتخذُ إتباعُ الكسرةِ والياءِ حالينِ، إحداهما تجاورُ الكسرةِ والياءِ، والأخرى تجاورُ كسرةٍ مع مثيلتِها.

أ – اجتماعُ الكسرةِ والياءِ في أبنيةِ الكلماتِ:

(1)–المقتصد في شرحِ التكملة 1308، لعبد القاهر الجرجاني،تحقيق أحمد الدويش، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1 ،2007م.

(2)–شرح المفصل 82/10 ،لابن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية.

ينشأ الإتباعُ الصوتيُّ أحياناً من وجودِ الكسرةِ والياءِ وجوداً تقديريّاً أو حقيقيّاً، فالإمالةُ من ضروبِ الوجودِ التقديريّ لهما؛ لأن الفتحةَ تصيرُ كالكسرةِ، والألفَ تصيرُ كالياءِ جلباً للتناسبِ بين الحروفِ ودفعاً لتنافرها. قال أبو البركات الأنباري: «إنْ قال قائلٌ: ما الإمالةُ؟ قيلَ: أن تنحوَ بالفتحةِ نحو الكسرةِ، وبالألفِ نحو الياءِ، فإن قيل: فلِمَ دخلتِ الإمالةُ الكلامَ؟ قيل: طلباً للتشاكلِ؛ لئلاَّ تختلفَ الأصواتُ فتتنافرَ، وهي تختصُّ بلغةِ أهلِ الحجازِ، ومَن جاوَرهم مِن بني تميمٍ وغيرهم»[1].

وتُستَحسَنُ الإمالةُ عند اجتماعِ الياءِ والألفِ في الكلمة، فإنْ تقدمتِ الياءُ على الألفِ جاز إمالةُ الفتحة قبلَ الألفِ نحوَ الكسرةِ، وإمالةُ الألفِ نحو الياءِ سواءٌ أكانتِ الياءُ متَّصِلةٌ بالألفِ أو منفصلةً عنها. قال اليزدي: «الياءُ تؤثِّرُ في الإمالةِ إذا كانت قبلَ الألفِ بلا فصلٍ، كقولك: سَيَالٌ لشجرٍ له شوكٌ، والسينُ مفتوحٌ، أو مع فصلٍ وهو حرفٌ واحدٌ كشَيْبانَ اسمِ رجلٍ، وكقولك: فِينا وعَلينا، سواءٌ كان الفصلُ والياءُ في كلمةٍ كالأولِ، أو في كلمتينِ مُنَزَّلتينِ منْزلةَ كلمةٍ واحدةٍ كالأخيرينِ، وذلك لأنَّ شدةَ اتصالِ الجارِّ والضميرِ جَعَلتْهما كالواحدةِ، أو مع فَصْلٍ هو حرفانِ أَوَّلُهما غيرُ مضمومٍ وثانيهما هاءٌ، وذلك كقولكَ: رأيتُ يَدَها، و: هو بَيْني وبَيْنَها، و: يريدُ أن يَكيلَها»[2].

فأمثلةُ سَيَالٍ وشَيبانَ وفِينا وعلينا ورأيتُ يَدها وهو بيني وبَينَها ويريدُ أنْ يَكِيْلها تستوي جميعاً في وجودِ ياءٍ ساكنةٍ للمدِّ واللينِ لأنها مسبوقةٌ بكسرةٍ كما في (فِينا و يَكِيْلها)، أو ساكنةٍ للين فقط لأنها مسبوقةٌ بفتحةٍ كما في(عَلَيْنا وشَيْبانَ وبَيْنها)،أو متحركةٍ كغيرها من الحروفِ الصحيحة كما في(سَيَالٍ ويَدَها)، وسائرُ هذه المواضعِ وما شابهها يجوزُ فيه الإمالةُ للتخفيفِ، وما جازَفيها ذلك إلا لتجاورِ الفتحة والياء والألفِ والهاءِ، وهي أوضاعٌ متجانسةٌ في مخارجها وصفاتِها، وذلك بدليلِ جوازِ الإمالةِ فيها أي جوازُها شاهدٌ على حصولِ الإتباعِ الصوتيِّ والمشاكلةِ بينَ الفتحةِ والياءِ والألفِ والهاءِ.

وتصلحُ الإمالةُ أيضاً إذا كانتِ الياءُ بعد الألفِ، وحركتُها الكسرةُ، فإن كانتْ الياءُ مفتوحةً أو مضمومةً امتنعتِ الإمالةُ. قال الرضي: «وإن تأخَّرتِ الياءُ عن الألفِ، فإنْ كانت مكسورةً كمبُايِعٍ فالمقتضِي

(1)–أسرار العربية 354، لأبي البركات الأنباري، تحقيق محمد بهجة البيطار، دار البشائر، دمشق،ط2 ، 2004 م.

(2)–شرح الشافية لليزدي 723، للخضراليزدي، تحقيق الدكتور حسن العثمان، مؤسسة الريان، بيروت،2008م.

للإمالةِ في مثلِهِ أقوى من المقتضِي في نحو: عابِدٍ، وإن كانت مفتوحةً أو مضمومةً كالمُبايَعِ والتبايُعِ فلا تؤثّر»[1].

وقلبُ الواو الساكنةِ ياءً بعدَ الكسرةِ في نحوِ: مِيزانٍ شبيهٌ بالإمالةِ؛ لأنَّ اللسانَ يصيرُ يعملُ في جهةٍ واحدةٍ، فيخفُّ النطقُ بالكلمةِ. قال سيبويه: «فمن ذلك قولُهم: المِيزانُ، والمِيعادُ، وإنما كرهوا ذلك كما كرهوا الواوَ مع الياءِ في: لَيَّةٍ، وسيِّدٍ ونحوهما، وكما يكرهون الضمةَ بعد الكسرةِ، حتى إنه ليسَ في الكلامِ أن يكسِروا أولَ حرفٍ، ويَضمُّوا الثاني نحوُ: فِعُلٍ... فكان العملُ من وجهٍ واحدٍ أخفَّ عليهم»[2].

فهو مثَّلَ بالميزانِ والميعادِ ليبيِّنَ أنَّ الكسرةَ قبلَ الواوِ الساكنةِ داعٍ قويٌّ لقلبِ الواوِ ياءً ليكونَ حالُ اللسانِ عندَ النطقِ بالكسرةِ والياءِ بعدها مستوياً على وضعٍ يخرجُ به صوتا الكسرةِ والياءِ خروجاً متحداً فيه تطويلٌ لصوتِ الكسرِ واتقاءٌ لكراهةِ الانتقالِ من كسرةٍ إلى واوٍ، ذلك أنَّ أصلَ ميزانٍ مِوْزانٌ، فالكسرةُ قبلَ الواوِ مستكرهةٌ كاستكراهِ الواوِ قبلَ الياءِ في لَيَّةٍ وأصلُها لَوْيَةٌ، واستكراهِ الياءِ قبلَ الواو في سيِّدٍ وأصلُه سَيْوِدٌ، وهنا حكمَ سيبويهِ على أنَّ كلامَ العربِ ليسَ فيهُ لفظٌ على وزنِ فِعُلٍ لقوةِ الثقلِ عند الانتقالِ من كسرٍ إلى ضمٍّ، وكلُّ ذلك متعلقٌ بجنوحِ العربِ في فصاحتهم إلى تحامي التنافرِ بين أصواتِ الحروفِ في المفرداتِ والجمل.

ب – الإتباعُ الصوتيُّ في الكسرتينِ المتجاورتينِ:

يتوالى في بعضِ المواضعِ كسرتانِ، وذلك نوعٌ من الإتباعِ الصوتيِّ المتعلقِ بمجانسة الكسرةِ مع الكسرةِ، فالاسمُ الثلاثيُّ الذي على وزن فَعِلٍ بفتح الفاءِ منه وكسرِ عينِه التي هي حرفُ حَلقٍ يجوز فيه ثلاثُ لغاتٍ إحداها إتباعُ الفاءِ للعينِ في الكسرِ، فيتوالى كسرتان؛ أي يصير فَعِلٌ على وزن فِعِلٍ بكسر الفاءِ والعينِ معاً، ومن ذلك أن يقال في (فَخِذٍ): فِخِذٌ. قال ابن جماعة في هذه اللغةِ: «وثالثُها: فِخِذٌ بكسرتينِ، لكونِ كسرةِ حرفِ الحلقِ قويةً بخلافِ غيرها، فناسَبَ أن تُتْبَعَ – لِقوَّتِها – بكسرةٍ؛

(1)–شرح الشافية للرضي 10/3، مطبعة حجازي بالقاهرة.

(2)–الكتاب 335/4، لسيبويه ،تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1 ،1991م.

ليحصُلَ نوعٌ من التخفيفِ، وهو الخروجُ من الكسرةِ إلى الكسرةِ؛ لأن اللسانَ يَعملُ في جهةٍ واحدةٍ بخلافِ الخروجِ من الفتحةِ إلى الكسرةِ»[1].

وقوله هنا عن عملِ اللسانِ من جهةٍ واحدةٍ نظيرٌ لما تقدَّمَ في نحو مِيْزانٍ ومِيْعادٍ فالياءُ الساكنةُ بعد الكسرةِ فيهما تعادلُ كسرةَ الخاءِ بعدَ الفاءِ المكسورةِ في نحوِ فِخِذٍ ويدلُّ هذا على أنَّ المدَّ في الياءِ الساكنةِ يعادلُ الكسرةَ ،لأنَّ اللسانَ يكونُ في الحالينِ عاملاً من جهةٍ واحدةٍ، وهذا نظيرُ كسرِ هاءِ الضمير بعدَ الكسرةِ في (بِهِ) و الياءِ في (علَيْهِ)، لأنّ اللسانَ يعملُ أيضاً من جهةٍ واحدةٍ ولذلك يقال: بِهِمْ، و: عَلَيْهِمْ، وبِهِيْ، وعَلَيْهِيْ. قال أبو علي: «وحَسَّنَ (بِهِمْ وعَلَيْهِمْ) أنَّ الهاءَ مشابِهةٌ للياءِ والكسرةِ؛ لموافقتها إياها في الخفاءِ، وأنه من مخرجِ ما يشبُه الياءَ وهو الألفُ... فأُتبِعَ الهاءُ الكسرةَ أوِ الياءَ في: عَلَيْهِي، وبِهِيْ، للموافقةِ بينهُنَّ كما قُرِّبتِ الألفُ من الياءِ في الإمالةِ، والحرفُ من الحرفِ القريبِ منه في الإدغامِ»[2].

ومن تشبيه أبي علي لنحوِ (بِهِمْ، وعَلَيْهِمْ، وعَلَيْهِيْ، وبِهِيْ) بالإمالةِ نطمئنُّ للقول بأنّ الإتباعَ الصوتيَّ في هذه الأمثلةِ كالتشاكلِ في إمالةِ: سَيَالٍ، وشيبانٍ وغيرِهما مما مرَّ ذكره، ويجري على هذه الجادَّةِ أيضاً كسرُ الفاءِ في نحو: عِصِيّ لوجود الياءِ والكسرة بعدها. قال ابن السرَّاج: «وقد يكسِرونَ أولَ الحرفِ لما بعدَه من الكسرِ والياءِ، وهي لغةٌ جيدةٌ، وذلك قولهم: عِصِيٌّ، وثِدِيٌّ، وعِتِيٌّ، وجِثِيٌّ»[3].

والحاصلُ أنَّ الكسرةَ والياءَ والألفَ والهاءَ اختارتِ العربُ فيها طريقَ التجنيسِ مراعاةً للخفةِ وصوناً للفصاحةِ كما اختارتْ ذلك في الفتحة والألفِ وتخفيفِ الهمزة.

4 – الإتباعُ الصوتيُّ بينَ الضمةِ والواوِ:

الضمةُ والواوُ كالكسرةِ والياءِ، والفتحةِ والألفِ في إحداثِ الإتباع الصوتيِّ، وله وجهان هما مضارعَةُ الضمةِ مع الواو، ومضارَعةُ الضمَّةِ مع الضمَّةِ.

1 – المضارعَةُ بين الضمة والواو في الإتباعِ الصوتيِّ:

(1)–مجموعة الشافية 31/1، عالم الكتب ، بيروت.

(2)–التعليقة 231/4،ل أبي علي الفارسي، تحقيق الدكتور عوض القوزي، القاهرة،1990م.

(3)-الأصول 256/3، وعِتِيٌّ جمع عاتٍ، يقال: عتا الشيخُ يَعتُو عُتِياً وعِتِياً: كَبِرَ ووَلّى. الصحاح (عتا).

يناسبُ الضمَّةَ أن تكون مقرونةً بواوٍ ساكنةٍ لاتقاءِ ما فيها من ثقلٍ فهيَ أثقلُ الحركاتِ، ولبلوغ ذلك تُقلبُ الياءُ الساكنةُ بعدها واواً في نحوِ: مُوقِنٍ. قال اليزدي: «وتقلبُ الياءُ الساكنةُ المضمومُ ما قبلَها واواً؛ لاقتضاءِ الضمةِ إياها، إذ هي حَرفُها، وذلك كقولكَ... مُوقِظٌ، كان: مُيْقِظٌ من اليَقَظةِ، ومُوسِرٌ، كان: مُيْسِرٌ من اليُسْرِ»[1].

فالإتباعُ المتحقِّقُ بينَ الضمةِ والواوِ اندفعَ بهِ ثقلُ توالي الضمةِ والواوِ في نحو مُوْقِنٍ ومُوْسِرٍ، فلو تُعَلَّ الياءُ بقلبها واواً لَكانَ اللفظُ مُيْقِنٌ ومُيْسِرٌ، فكانَ لابدَّ من إعلالِ الياءِ الساكنةِ بقلبها واواً ساكنةً لئلا يفسدَ نظامُ الفصاحةِ، وهذا نظيرُ نحو ميزانٍ في لزومِ قلبِ الواوِ الساكنةِ ياءً بعد الكسرةِ.

ويتكافأُ مع (مُوْقِنٍ) في الإتيانِ بواوٍ ساكنةٍ مضارعةٍ للضمةِ قبلها تسكينُ الواو المضمومةِ في (نُوُرٍ) جمعِ (نَوارٍ)؛ لأنه اجتمع ثلاثة أمثالٍ هي ضمةُ النون في (نُوُرٍ)، والواوُ المقرونةُ بالضمةِ بعدَ النون، فأُعلَّتِ الواو المضمومةُ بالإسكان اتقاءً لثقلِ توالي الأمثال. قال ابن الحاجب: «قال[2]: (وفُعُلٌ إن كان من الواوِ سُكِّنَتْ عينُهُ لاجتماع الضمَّتينِ)، ذكره ههنا، لأنه ثلاثيٌّ أُعلَّ، وليسَ على مثالِ الفعلِ، فذكَرَ أنَّ أمرَه منقسِمٌ إلى ما يُعلُّ، وإلى ما يَصِحُّ، فإنْ كان من الواوِ أُعِلَّ بالإسكانِ استثقالاً للضمَّتينِ، وإحداهما على الواوِ، والأخرى على فاءِ الكلمةِ، وهو استثقالٌ يوجبُ الإعلالَ لِما فيه من الثِّقَلِ البيِّنِ، فيقال: نُوْرٌ، وعُوْنٌ في جمع نَوَارٍ وعَوَانٍ، وأصلُه: نُوُرٌ، وعُوُنٌ»[3].

ثمَّ إنَّ علمِ اللغة المعاصرَ تُوصفُ الضمةُ فيه بأنها صوتُ لينٍ ضيقٌ، وأن الكسرةَ تشتركُ معها في هذهِ التسميةِ، أما الفتحةُ فتوصفُ فيه بأنها صوتُ لين متّسِعٌ، وذهب هذا المذهبَ الدكتور إبراهيم أنيس، ونصُّه: «والفتحةُ بأنواعِها تعدُّ من أصواتِ اللينِ المتسعةِ، إلا إذا كانت مُمالةً إمالةً شديدةً، أما الضمةُ والكسرةُ فهما من أصواتِ اللينِ الضيقةِ، ولهذا التقسيم أهميتُه فيما يعرِضُ لهذه الأصواتِ

(1)-شرح الشافية لليزدي 818.

(2)-أي الزمخشري (ينظر المفصل 380).للزمخشري، علق عليه الدكتور محمد السعيدي، دار إحياء العلوم، بيروت،1990م.

(3)-الإيضاح في شرح المفصل 451/2-452، يقال: نِسوةٌ نُورٌ، أي نُفَّرٌ من الريبةِ، الصحاح (نور) والعَوانُ: النَّصَفُ في سِنِّها من كلِّ شيءٍ، الصحاح (عون).

من الظواهر اللغويةِ، إذ نلحظُ في معظمِ الأحيانِ أنّ ما يجري على الضمةِ يجري على الكسرةِ؛ لأنّ كلًّا منهما صوتُ لينٍ ضيقٍ»[1].

2 – الإتباعُ الصوتيُّ في الضمتينِ المتجاورتينِ :

يسلكُ العربُ في بعضِ الألفاظِ سبيلَ الإتباعِ بين ضمةٍ وأخرى، فيضمُّونَ حرفينِ متواليينِ إذا فصلَ بينهما حرفٌ ساكنٌ، ومنه ضمُّ همزةِ الوصلِ إذا كان ثالثُ الكلمةِ مضموماً بضمةٍ غيرِ عارضةٍ. قال أبو علي: «وذلك قولك: اِنْطِلاقٌ، اِحْمِرارٌ، اِسْتِخراجٌ، اِسْتِضعافٌ... وهذه الهمزةُ الموصولةُ مكسورةٌ أبداً في هذا النحوِ إلا أن يكون ثالثُ الكلمةِ التي هي فيها مضموماً ضمَّةً لازمةً، فإنها تنضمُّ في هذا الموضعِ، وذلك نحوُ: اُقْتُلْ، اُحْشُرْ، اُدْعُ، اُغْزُ»[2].

وغرضُ الموالاة بين الضمتينِ في نحو: اُقتُلْ التخفيفُ بالإتباعِ؛ لأنه لو بقيتْ همزةُ الوصلِ مكسورةً لكان الأداءُ بلفظِ: اِقْتُلْ ثقيلاً؛ لأن فيه انتقالاً من كسرٍ إلى ضمٍّ. قال ناظر الجيش: «فإن عَرَضَ فيما يلي الساكنَ الذي جيء بها[3] لأجلهِ ضمَّةٌ لازمةٌ ضُمَّتْ هي إتباعاً وتخلُّصاً من تتابعِ كسرٍ وضمٍّ»[4].

وما قالهُ أبو عليٍّ وناظرُ الجيشِ من وجوبِ ضمِّ همزةِ الوصلِ في نحو: اُقْتُلْ واُدْعُ يندرجُ أيضاً تحتَ قانونِ التشاكلِ أو الإتباعِ الصوتيِّ ،ذلكَ أنَّ ضمَّ همزةِ الوصلِ في الابتداءِ مع الحرفِ بعدها إعمالٌ للسانِ في جهةٍ واحدةٍ لا ثقلَ فيها، ويُبيِّنُ ذلكَ أنَّ قلبَ الواوِ ياءً في نحو مِيْعادٍ يعادلُهُ خلوُّ العربيةِ من بناءٍ على وزنِ فِعُلٍ بكسر الفاءِ وضمِّ العينِ ،وكذلك توالي ضمَّتينِ مع ساكنٍ بينهما في نحو (اُدعُ) يعادلهُ أيضاً عدمُ وجودِ فِعُلٍ بكسر الفاء وضمِّ العينِ.

(1)–الأصوات اللغوية 41، للدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ط4 ،1971م.

(2)–التكملة 17، لأبي علي الفارسي، تحقيق الدكتور حسن فرهود، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية.

(3)–أي همزة الوصل.

(4)–تمهيد القواعد 3779/8–3780، لناظر الجيش،تحقيق الدكتور علي فاخر، دار السلام ، القاهرة، ط1 ، 2007م.

وإتباعُ همزةِ الوصلِ ضمةَ الحرفِ الثالث في نحو (اُدْعُ) يقاربُه ضمُّ لامِ الجرِّ في (لِلَّه) في (الحمدُ لُله) بضمِّ دالِ (الحمد) ولام الجرِّ في (لِلَّه) [الفاتحة: 2/1] وذلك في قراءةِ إبراهيمَ بن أبي عبلةَ، لأنه لا يثقُلُ تتابُعُ ضمَّتينِ كما لا يثقُلُ تتابُعُ كسرتينِ . قال النحاس: «وقرأ إبراهيمُ بن أبي عبلةَ (الحمدُ لُله)، وهذه لغةُ بعضِ بني ربيعةَ... والكسرةُ مع الكسرةِ أَخفُّ، وكذلك الضمةُ مع الضمةِ»[1].

وهذه القراءةُ شاهدٌ على أنَّ تجاورَ حرفينِ مضمومينِ لغرضِ الإتباعِ يقعُ في كلمتينِ أيضاً كما يقعُ في كلمةٍ واحدةٍ من نحو(اُدْعُ) ،وشاهدٌ أيضاً على أنّ (الحمدُ لُله) أُتبعَ فيه الثاني للأول، وأنّ (اُقتُلْ) أُتبع فيه الأولُ للثاني، ورأى ابن جني أنّ إتباع الثاني للأول أَشيعُ وأقيسُ من العكسِ. قال: «فإنّ أقيسَ الإتباعِ أن يكون الثاني تابعاً للأول؛ وذلك أنه جارٍ مجرى السببِ والمسبَّبِ، وينبغي أنْ يكونَ السببُ أسبقَ رتبةً من المسبَّبِ»[2].

والمستفادُ من قولهِ أنَّ قياسَ الإتباعِ الصوتيِّ جعلُ الأولِ في الترتيبِ متبوعاً والثاني تابعاً ،ويتناظرُ ذلكَ مع قياسِ التوابعِ الأربعةِ في الإعرابِ، وهي العطفُ والتوكيدُ والبدلُ والصفةُ، أي يتعينُ أنْ يكونَ التابعُ فيها بعدَ المتبوعِ لا العكسُ.

الخاتمة والنتائج:

تبيَّنَ من أحوالِ الإتباعِ الصوتيِّ بينَ الحركاتِ وأحرفِ العلةِ والحلقِ أنَّ ذلكَ من خصائصِ الفصاحةِ في العربية، لأنَّ تجاورَ الحركاتِ وتلكَ الأحرفِ يسهِّلُ أداءَ الكلماتِ بلا تنافرٍ بينَ حروفها، ويقتدرُ المتكلِّمُ على بيانِ ما يقصدهُ من المعاني، ويمكنُ مما تقدمَ استخلاصُ النتائجِ الآتيةِ:

1 – تختصُّ حروفُ العلةِ بالمدِّ سواءٌ أكانت أصليةً أم زائدةً، والفرقُ بين مدِّ الزائد والأصلي منها أنّ الزائدَ يؤتى به لمجرَّدِ المدِّ أو الإشباعِ، أما الأصليُّ فيغلبُ عليه أن يكونَ منقلباً عن غيرهِ.

2 – منازلُ حروفِ العلة في الخفةِ والثقلِ تُبيِّنُها أوضاعُ الحركاتِ المجانسةِ لها، فالألفُ أخفُّ الحروفِ؛ لأنها تضارعُ الفتحةَ التي هي أخفُّ الحركاتِ، ويلي الألفَ الياءُ؛ لأنها تشابهُ الكسرةَ التي

(1)–إعرابُ القرآن للنحاس 170/1 وينظر البحر المحيط 18/1.

(2)–المحتسب 37/1،لابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ،1999م.

يتجاذبُها خفُة الفتحةِ وثقلُ الضمةِ، أما الواوُ فهي أثقلُ حروفِ العلة؛ لأنها تضاهي الضمةَ التي هي أثقلُ الحركات.

3 – الإتباعُ الصوتيُّ بين الحركاتِ وأحرفِ العلةِ والحلقِ يؤتَى بهِ للمشاكلةِ التي تخفُّ بها الكلماتُ؛ لأنَّ أحرفَ العلةِ يغلبُ تسكينُها عند الإتباعِ فتتحقَّقُ بتسكينها أقصى درجاتِ الخفةِ، ولأنَّ أحرفَ الحلقِ يكثرُ تحريكها بالفتحةِ التي هي أخفُّ الحركاتِ، أو بالكسرةِ المجاورةِ لكسرةٍ أخرى أو ياءٍ أو هاءٍ، فاختيرَ لذلك فتحُ العينِ في نحو: يسأَلُ ويذهَب، وكسرُ الفاءِ في نحو: فِخِذٍ، وكسرُ هاءِ الضمير في نحو: عليهِمْ.

4 – يتكاملُ مصطلحُ الإتباعِ عند قدماءِ النحويينَ مع مصطلحِ الاقتصادِ اللغوي في علمِ اللغةِ الحديثِ؛ لأن كِلا المصطلحينِ يدلُّ على أنّ المتكلمَ يرمي إلى الأداءِ المستقيمِ للغة.

المصادر

- *القرآن الكريم.*

1- الأستراباذي، رضي الدين (688هـ)، شرح شافيةِ ابن الحاجب مع شرحِ شواهده للبغدادي، حققهما وضبط غريبَهما محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي بالقاهرة.

2- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (577هـ)، أسرار العربية، عُني بتحقيقه محمد بهجة البيطار، وعاصم بهجة البيطار، دار البشائر، دمشق، ط2، 1425هـ-2004م.

3- الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (328هـ)، إيضاحُ الوقفِ والابتداء في كتاب الله عزَّ وجلَّ، تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية 1390هـ-1971م.

4- الأندلسي، أبو حيان (754هـ)، تفسير البحرِ المحيط وبهامشه تفسيرُ النهر المادِّ، دار الفكر ط2، 1403هـ-1983م.

5- الأندلسي، أبو حيان، تذكرة النحاة، تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1406هـ-1986م.

6- أنيس، الدكتور إبراهيم، الأصواتُ اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1971م.

7- الجاربردي، مجموعة الشافية، عالم الكتب، بيروت.

8- الجرجاني، عبد القاهر (471هـ)، المقتصد في شرح التكملة، تحقيق أحمد الدويش، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، ط1، 1428هـ-2007م.

9- ابن جني، أبو الفتح عثمان (392هـ)، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1413هـ-1993م.

10- ابن جني، أبو الفتح عثمان، المنصف، بتحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط1، 1373هـ-1954م.

11- ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيينِ وجوهِ شواذ القراءاتِ والإيضاح عنها بتحقيق علي النجدي ناصف، وآخرَين، القاهرة، 1386هـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

12- الجوهري، تاجُ اللغة وصحاحُ العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1399هـ-1979م.
13- ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن أبي بكر (646هـ)، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1425هـ-2005م.
14- حسان، الدكتور تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.
15- الحلواني، الدكتور محمد خير، أصولُ النحو العربي، الناشر الأطلسي.
16- الزمخشري (538هـ)، المفصَّل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، ط2.
17- ابن جني ،سر صناعة الإعراب،تحقيق حسن هنداوي، دار القلم ،دمشق ،ط1، 1405هـ - 1985م.
18- ابن جني،شرح الإمام أبي الفتح ابن جني لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني،تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، البابي الحلبي، ط1، 1373هـ- 1954م.
19- ابن السرَّاج، محمد بن سهل (316هـ)، الأصول في النحو، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط4، 1420هـ-1999م.
20- سوسور، فردينان، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي، ومجيد النصر، دار نعمان للثقافة، جونيه، لبنان.
21- سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ط1، 1411هـ-1991م.
22- ابن الشجري، هبة الله بن علي (542هـ)، أمالي ابن الشجري، تحقيق ودراسة الدكتور محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1413هـ-1992م.
23- العكبري، أبو البقاء (616هـ)، اللباب في عللِ البناءِ والإعرابِ، تحقيق غازي طليمات، والدكتور عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، بيروت، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي.
24- الفارسي، أبو علي (377هـ)، التعليقة على كتاب سيبويه، تحقيق وتعليق الدكتور عوض القوزي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط1، 1410هـ-1990م.

25- الفارسي، أبو علي، التكملة وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي، تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1401هـ-1981م.
26- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب (437هـ)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعِللها وحُججها، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط3، 1404هـ-1984م.
27- ابن السكيت، تهذيب الألفاظ ،تهذيب الخطيب التبريزي ،تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ،مكتبة لبنان ، ناشرون،ط1، 2005م.
28- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (285هـ)، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
29- ابن مقبل ،الديوان ،عني بتحقيقه الدكتور عزة حسن،وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دمشق، 1381هـ - 1962م
30- ابن منظور، لسان العرب ،دار إحياء التراث العربي،ط1 ،1408هـ -1988م، بيروت.
31- ناظر الجيش، محبّ الدين محمد بن يوسف (778هـ)، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، دراسة وتحقيق الأستاذ الدكتور علي محمّد فاخر وآخَرِين، دار السلام، القاهرة، ط1، 1428هـ-2007م.
32- النحاس، أبو جعفر (338هـ)، إعراب القرآن، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط2، 1405هـ-1985م.
33- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، حققه وعلق عليه الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني.
34- اليزدي، الخضر (720هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، دراسة وتحقيق الدكتور حسن العثمان، مؤسسة الريّان، بيروت، ط1، 1429هـ-2008م.
35- ابن يعيش (643هـ)، شرح الملوكي في التصريف، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار الأوزاعي، بيروت، ط2، 1408هـ-1988م.
36- ابن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية.

قاعدةُ الشَّبه في التَّعليلِ النَّحويِّ

أثرُها وضوابطُها

د. عُمَر محمَّد زكريَّا مَنْدُو*

الملخَّص

اعتمد النُّحاةُ مبدأ الشَّبهِ في عِلَلِهم، وألحقوا الفروعَ بالأصول بجامعٍ ما من المناسبةِ؛ إمَّا من جهةِ اللَّفظِ أو مِن جهةِ المعنى.

ولقد رادَفَ التَّعليلُ بالشَّبهِ نشأةَ النَّحوِ، فاتَّسعَ أثرُه، واتُّخذ مسلكاً مِن مسالكِ العِلَّةِ؛ إذ كانت غايتُه طَرْدَ الحُكمِ وتثبيتَه في النُّفوسِ.

ومِن ثَمَّ كان هذا البحثُ، يجلِّي قاعدةَ الشَّبهِ الكلِّيَّة، ويُبيِّن موقعها من علل النَّحوِ، منفرداً عن كلِّ ما قيل في هذه القاعدةِ بذكره ضوابطَ للقولِ بالشَّبه، استقاها من معين كلامِ أهل الصِّناعةِ.

الكلماتُ المِفتاحيَّة: الشَّبه، أصول النَّحو، ضوابط الشَّبه، العلل النَّحويَّة.

* دكتوراه في اللُّغة العربيَّة وآدابها، جامعة حمص.

The Rule of Similarity in Syntactic Justification

Its Impact and Regulations

Abstract:

The grammarians adopted the principle of resemblance in their reasons, and they connected the branches to the roots by a commonality of some sort; either in terms of wording or in terms of meaning.

Indeed, the reasoning by analogy accompanied the development of grammar, broadening its impact and serving as a method of justification; its aim was to eliminate judgment and establish it in people's minds.

Thus, this research clarifies the principle of general resemblance, and shows its position concerning the causes of grammar, distinctively from all that has been said about this principle by mentioning guidelines for asserting resemblance, drawn from the well of the words of the experts in the field.

Keywords: The resemblance- Principles of Grammar- Regulations of the analogy- The Grammatical Exceptions.

مقدِّمة البحثِ:

يندرجُ البحثُ في التَّشبيهِ في أصولِ النَّحو؛ إذ هو بحثٌ يتجاوزُ الفروعَ إلى الأصولِ، وينفذُ إلى ما وراء الظَّواهر اللُّغويَّة، ويُبيِّن العلَّةَ الَّتي جعلتها على ما هي عليه.

ويكشفُ هذا البحثُ عن أصالةِ الشَّبهِ في الفكرِ النَّحويِّ، ويتتبَّعُ أثرَه في الأحكامِ، ويصوغُ ضوابطَ للقولِ به والاحتكامِ إليه.

وتأتي **أهمِّيَّة هذا البحث** في كشفه عن أسلوبٍ من أساليب التَّعليل النَّحويِّ، ورصْدِه سيرَ الفكر النَّحويِّ وتطوُّره، وهو بحثٌ في فلسفة العربيَّة وفي النظريات والأفكار التي تقوم عليها هذه اللُّغة.

منهجُ البحثِ:

كان مِن لازم موضوعِ البحثِ اتِّباع المنهج الوصفيِّ التَّحليليِّ، فبيَّنَ البحثُ مفهومَ الشَّبهِ وحجِّيَّتَه وأصالتَه في التَّعليلِ النَّحويِّ، ثمَّ وصفَ أثرَ الشَّبه في الفكر النَّحويِّ وما أُنيط به من أحكامٍ، وشرع بعد ذلك يبيِّنُ أضربَ الشَّبهِ ويحلِّلها، وصاغ من جرَّاء ذلك الأصولَ الضَّابطةَ للقولِ بالشَّبه، وانتهى إلى جملةٍ من النَّتائجِ.

الدِّراسات السَّابقة:

عالج بعضُ الدَّارسين موضوع الشَّبهِ وفق محدِّداتٍ في النَّظر، منها: (المشابهة في النحو العربي) لـ: سالمة صالح العمامي، و(قياس الشَّبه في كتاب سيبويه) لـ: ورود سعدون عبد، و(التعليل النحوي بالمشابهة عند الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي) لـ: حسن بن محمد حسن القرني، و(أهمية الدور الوظيفي لقياس الشبه في الدرس النحوي) لـ: محمد إبراهيم خليفة الشوشتري، و(التعليل النحوي من حيث اللفظ والمعنى) لـ: أدهم محمد علي حموية، و(البعد الوظيفي لمقولة الشَّبه في الدرس النحوي) لـ: مصطفى وداد القيسي.

ويفترقُ البحثُ عن بعض تلك الدراسات من حيث شموليَّتُه للدَّرسِ النَّحويِّ، وعن بعضِها الآخر بصياغةِ الضوابط النَّاظمة للاحتجاج بالشَّبه.

أوَّلاً: الشَّبه وأثرُه في الفكر النَّحويِّ:

ترجعُ معاني مادَّة (ش ب ه) إلى أصلٍ واحدٍ يدلُّ على تشابُه الشَّيء وتَشَاكُلِه لوناً ووصفاً، يُقال: شِبْهٌ وَشَبَهٌ وَشَبِيهٌ، والشَّبَه من الجواهر: الذي يُشبِه الذَّهبَ، والمُشَبَّهات من الأمور: المُشكِلات، واشْتَبَه الأمران: إذا أشْكَلا[1].

ويقرب الشَّبَهُ مِن المِثْل معنىً، ويفترقان من حيث إنَّ الأوَّل قد يُفارق نظيرَه في بعض الخواصِّ، أمَّا المِثْلُ فلا يمتاز من نظيره.

وعرَّف ابنُ الأنباريِّ (328هـ) قياسَ الشَّبه: "أن يُحمَل الفرعُ على الأصل بضربٍ من الشَّبه غير العلَّة الَّتي عُلِّق عليها الحُكم في الأصل، وذلك مثلُ أن يدلَّ على إعراب الفعل المضارع بأنَّه يتخصَّص بعد شياعه كما أنَّ الاسم يتخصَّص بعد شَياعه، فكان معرباً كالاسم"[2].

وقد **امتدَّ أثر قياس الشَّبه في أرجاء النَّحو**؛ إذ كان مفهوم النَّحو: "علمٌ بالمقاييس المستنبَطة من استقراء كلام العرب"[3]، فالشَّبَه مَسلَكٌ مِن مسالك العلَّة النَّحويَّة[4].

وثمَّة مَن نازع في حُجِّيَّةِ قياسِ الشَّبَه مِن الأصوليِّين[5]، ولا ريبَ أنَّ قياسَ العلَّةِ أجلى في الاستدلالِ، وألْزَمُ عند اللَّجاجِ، ولهذا قال أبو البركات: "وقياسُ الشَّبه قياسٌ صحيحٌ يجوز التَّمثُّل به في أوجَهِ الوجهَينِ كقياس العلَّة؛ لأنَّ قياس العلَّة إنَّما جاز التمسُّك به لأنَّه يوجِب غلبةَ الظَّنِّ، وهذا القياس يوجِب غلبةَ الظَّنِّ فجاز التمسُّك به، ولأنَّ مشابهة الفرع للأصل تقتضي أن يكون حكمُه مثلَ حكمِه"[6].

على هذا يمكنُ القول: إنَّ قياسَ الشَّبه قد أوجبَ العملَ مع ما قد يحتفُّ به من ظنونٍ في أصلِه[7].

---

[1] يُنظر: مقاييس اللُّغة (ش ب ه) 243/3.

[2] لمع الأدلة 107-108.

[3] التكملة للفارسيِّ ص181.

[4] انظر: الاقتراح (ط: البيروتي) ص80.

[5] انظر: قواطع الأدلَّة للسمعاني 164/2.

[6] لمع الأدلة 109.

[7] انظر: التَّلخيص في أصول الفقه للجويني 125/2.

وخليقٌ بالذِّكرِ أنَّ "**اسم الشَّبه يُطلَق على كلِّ قياسٍ**؛ فإنَّ الفرع يَلحق بالأصل بجامعٍ يُشبهه فيه، فهو إذاً يُشبهه، وكذلك اسم الطرد؛ لأنَّ الاطِّراد شرطُ كلِّ علَّةٍ جمع فيها بين الفرع والأصل"[1].

ومراعاة الشَّبه مبدأٌ أصيلٌ في الفكر النَّحويِّ، فإنَّ القوم لمَّا رأوا "كثيراً من اللُّغة مقيساً منقاداً، وسَموه بمواسمه، وغَنوا بذلك عن الإطالة والإسهاب فيما ينوب عنه الاختصار والإيجاز. ثمَّ لمَّا تجاوزوا ذلك إلى ما لا بُدَّ من إيراده ونصِّ ألفاظه التزموا وألزموا كلفته؛ إذ لم يجدوا منها بُدَّاً ولا عنها مُنصرَفاً"[2]. يشهد لتلك الأصالة أنَّ أبا عمرو ابن العلاء (154هـ) سمع رجلاً من اليمن يقول: "فلانٌ لَغوبٌ جاءته كتابي فاحتقرَها، فقال له: أتقول جاءته كتابي؟! قال: نعم، أليس بصحيفةٍ!"[3]. فقاس الكتابَ على الصَّحيفةِ وشبَّهه بها وحَمَلَه عليها في المعنى. "أفتراك تريد من أبي عمرو وطبقته وقد نظروا وتدربوا وقاسوا وتصرفوا أن يسمعوا أعرابيَّاً جافياً غفلاً يعلِّل هذا الموضع بهذه العلة ويحتج لتأنيث المذكر بما ذكره فلا يَهتاجوا هم لمثله، ولا يسلكوا فيه طريقته فيقولوا: فعلوا كذا لكذا وصنعوا كذا لكذا، وقد شرَع لهم العربيُّ ذلك ووقَفَهم على سمته وأَمَّه"[4].

وجَعْلُ النُّحاةِ **الأشباهَ علَّةَ الحُكمِ ومناطَه** ممَّا يحتملُه كلامُ العرب، قال الخليل: "إنَّ العربَ نطقَت على سجيَّتِها وطباعِها، وعرفَت مواقعَ كلامِها، وقام في عقولِها عِللُه، وإن لم يُنقَل ذلك عنها، واعتلَلتُ أنا بما عندي أنَّه علَّةٌ لِما علَّلتُه منه، فإن أكن أصبتُ العلَّةَ فهو الَّذي التمَستُ، وإن تكن هناك علَّةٌ غير ما ذكرتُ فالَّذي ذكرتُه مُحتمِلٌ أن يكون علَّةً له. ومثَّلي في ذلك مَثَلُ رجلٍ حكيمٍ دخلَ داراً مُحكمَة البناءِ عجيبةَ النَّظمِ والأقسامِ، وقد صحَّت عندَه حكمةُ بانيها بالخبرِ الصَّادق أو بالبراهينِ الواضحةِ والحُججِ اللَّائحةِ، فكلَّما وقف هذا الرَّجلُ في الدَّار على شيءٍ منها قال: إنَّما فعل هذا هكذا لعلَّةِ كذا وكذا ولسببِ كذا وكذا، لعلَّةٍ سَنحَت له وخَطرَت ببالِه مُحتمِلَة أن تكون علَّةً لتلك، فجائزٌ أن يكون الحكيمُ الباني للدَّارِ فعَلَ ذلك للعلَّةِ الَّتي ذكرَها هذا الَّذي دخلَ الدَّارَ، وجائزٌ أن يكون فعَلَه لغير تلك العلَّةِ، إلَّا أنَّ ما ذكره هذا الرَّجلُ مُحتمِلٌ أن يكون علَّةً لذلك..."[5].

---

[1] المستصفى 316.

[2] الخصائص 45/2.

[3] الخصائص 250/1.

[4] المصدر السابق، الصحيفة نفسها.

[5] الإيضاح للزَّجَّاجيِّ ص66.

وكان سيبويه قد صاغَ **أصولاً تضبط قاعدة الشَّبه** فقال: "قد يشبَّه الشيء بالشيء في موضع ويخالفه في أكثر من ذلك"[1]، "وقد يشبَّه الشيء بالشيء وإن كان ليس مثله في جميع الأشياء"[2]، "يشبه الشيء بالشيء في موضع واحد وإن لم يوافقه في جميع المواضع"[3].

والاعتماد على الشَّبه في تعليل الحكم النَّحويِّ مسايرٌ لتفتّق الذِّهنيَّة العربيَّة على ضروبٍ من الاستدلال، "وقد كانت العلَّة النَّحويَّة في تطوُّرها تابعةً لعلومٍ ذات طبيعةٍ غير طبيعة النَّحو؛ كالفقه والفلسفة والكلام"[4].

ولهذا لحق بعلومِ اللُّغةِ علمُ أصـــولِ النَّحوِ وجدلِه؛ "ليُعرَفَ به القياس وتركيبه وأقســـامه؛ من قياسِ العلَّة، وقياسِ الشَّـــبَهِ، وقياسِ الطَّردِ، إلى غيرِ ذلك على حدِّ أصـــولِ الفقه، **فإنَّ بينهما من المناســـبةِ ما لا يَخفى**؛ لأنَّ النَّحوَ معقولٌ من منقولٍ كما أنَّ الفقهَ معقولٌ من منقولٍ، ويَعلمُ حقيقةَ هذا أربابُ المعرفةِ بهما"[5].

فالتَّعليل بالتَّشـــبيه أقرب إلى علل المتكلِّمين، ففيه قوَّة الإقناع لا حجَّة السَّـــماع؛ قال ابن جني: "اعلم أن علل النحويين –وأعني بذلك حذاقهم المتقنين لا ألفافهم المســـتضـــعفين– أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين. وذلك أنهم إنما يحيلون على الحس ويحتجُّون فيه بثقل الحال أو خِفَّتها على النَّفْسِ، وليس كذلك حديث علل الفقه"[6]. وهو –أعني: التشـــبيه– مَنطِقٌ بدهيٌّ، "ولســتَ تجد شـيئاً ممَّا علَّل به القومُ وجوهَ الإعراب إلَّا والنفسُ تَقبلُه، والحِسُّ مُنطوٍ على الاعتراف به؛ ألا ترى أنَّ عَوارض ما يوجد في هذه اللُّغة شـيءٌ سـبق وقتَ الشَّـرع وفزع إلى التحاكم فيه إلى بديهة الطَّبع، فجميع علل النحو إذاً مواطئةٌ للطِّباع، وعلل الفقه لا ينقاد جميعها هذا الانقيادَ"[7].

---

[1] الكتاب 325/3.

[2] المصدر السابق 413/3.

[3] المصدر السابق 195/4.

[4] العلَّة النَّحويَّة، مازن المبارك، ص5.

[5] نزهة الألباء لابن الأنباريِّ ص76 بتصرُّفٍ يسيرٍ.

[6] الخصائص 49/1.

[7] الخصائص 52/1.

ومِن ثَمَّ يمكن أن يُعَدَّ مِن فائل الآراء ذلك الرَّأيُ القائلُ: "ويغلب على الظَّنِّ أنَّ ما تكوَّن مِن نحوِ طبقة أبي الأسود وتلامذته فضلاً عن قلَّته كان شبه الرواية للمسموع، فلم تنبت بينهم فكرة القياس"[1].

ومبدأُ **التَّشبيه يُظهِرُ الانسجام بين الظَّواهر اللُّغويَّة**؛ وينفذ إلى ما رواءها، ويشرح الأسباب التي جعلتها على ما هي عليه؛ فإنَّ "العرب تؤثر من التَّجانس **والتَّشابه** وحملِ الفرع على الأصل ما إذا تأمَّلتَه عرفتَ منه قوَّةَ عنايتها بهذا الشَّأن وأنَّه منها على أقوى بالٍ"[2].

ويُحْكِمُ الشَّبهُ ما ندَّ مِن كلامِ العربِ وخرج عن الكثيرِ الشَّائعِ، فإنَّ "لغة العرب في غاية الضَّبط، وإن وقع فيها اختلافٌ قليلٌ فإنَّه لا يؤدِّي إلى اختلالها واختلاطها، بل **إذا وقع خلافٌ رجع لوجهٍ من القياس يقتضيه**، ومذهبٍ واضحٍ يقبله قانونُ كلامِهم ويرتضيه"[3].

ولعلَّ **مِن أهمِّ ما يَمنَحُه الشَّبَهُ للدَّارسينَ تيسير النَّحوِ**؛ إذ وقَر في النُّفوس أنَّ اشتراك أمرَينِ في أوصافٍ ما أقربُ إلى الأذهان في الاستدعاء، وأحكمُ في ضبط الخواصِّ، فيعمد الدَّارسُ إلى ألصق الأشباهِ بصقبه فيحملها عليه ويقيسها به، فيعتصم الباحثُ بذلك عن الخطأ في الحكم، "فكلٌّ من فُرِقَ له عن علَّةٍ صحيحةٍ وطريقٍ نَهْجَةٍ كان خليلَ نفْسِه، وأبا عمرو فكْرِه"[4].

ثانياً: أضرُبُ الشَّبه:

ممَّا يشهدُ لأثر الشَّبه في لمِّ شَعث كثيرٍ من الفروع أنَّ ابنَ هشامٍ (761هـ) افتتح به البابَ الثَّامن من «المغني» عند ذكر أمورٍ كلِّيَّةٍ يتخرَّج عليها ما لا ينحصر من الصُّور الجزئيَّة، قال: "قد يُعطى الشَّيءُ حكمَ ما أشبهه في معناه أو في لفظه أو فيهما"[5].

[1] نشأة النحو للطنطاوي ص38 بتصرُّف.
[2] الخصائص 112/1.
[3] فيض الانشراح للفاسي ص857.
[4] الخصائص 1/ 191.
[5] مغني اللبيب 751.

ولا مدخلَ لضربٍ آخرَ من الشَّبه زيادةً على ما عدَّه ابنُ هشامٍ؛ إذ هي قسمةٌ عقليَّةٌ يؤيِّدها السَّبرُ والتَّقسيمُ، فلا بدَّ أن يقعَ بين المشبَّه والمشبَّه به ضربٌ من المناسبةِ إمَّا في اللَّفظِ أو المعنى، أو في كليهما.

على أنَّ البحثَ لن يقتصر على ما ساقه ابنُ هشامٍ في «مغنيه»، بل سيعمَد إلى اعتلالات النَّحويِّين، وما بنوا من أحكامٍ على الشَّبه؛ ليفسِّر هذا الأصل، وينفذ إلى ما وراءه، ويصوغَ الضَّوابط الحاكمة للقول به.

أ- الشَّبه اللَّفظيُّ:

فشا التَّشبيه اللَّفظيُّ في لسان العرب، وحملوا بعض ما جرى في كلامهم على بعضِه؛ تشبُّثاً به وتصوراً له، "**وللعرب مذهبٌ معروفٌ في رعاية المشابهة اللَّفظيَّة**"[1]، أومأ إليه سيبويه بقوله: "وليس شيء يضطرُّون إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً"[2].

وعُني ابنُ جنِّي بالشَّبه اللَّفظيِّ وقال عنه: "وهذا الشبه اللفظي كثير عنهم فاشٍ متعالَم بينهم"[3]، وقال في موضعٍ آخر:"وهذا الشَّبه اللَّفظيُّ أكثرُ مِن أن أضبطه لك"[4]. وبوَّب أبو الفتح في «الخصائص» باباً في (حمل الشَّيء على الشَّيء من غير الوجه الذي أعطى الأوَّل ذلك الحكم)، قال فيه: "اعلم أنَّ هذا بابٌ طريقُه الشَّبه اللَّفظيُّ، وذلك كقولنا في الإضافة إلى ما فيه التأنيث بالواو وذلك نحو: حمراوي وصفراوي وعشراوي، وإنما قلبت الهمزة فيه ولم تُقرَّ بحالها لئلَّا تقع علامةُ التأنيث حشواً، فمضى هذا على هذا لا يختلف. ثمَّ إنهم قالوا في الإضافة إلى عِلباء: علباوي، وإلى حِرباء: حرباوي، فأبدلوا هذه الهمزةَ وإن لم تكن للتأنيث، لكنَّها لمَّا **شابَهَت** همزةَ (حمراء) وبابها بالزِّيادة حملوا عليها همزة (علباء). ونحن نعلم أن همزة (حمراء) لم تقلب في (حمراوي) لكونها زائدةً

[1] تعليق الفرائد للدماميني 147/3.

[2] الكتاب 32/1.

[3] المحتسب 132/1.

[4] سرُّ الصِّناعة 22/2.

فتشبه بها همزة (علباء) من حيث كانت زائدة مثلها، لكن لمَّا اتَّفقتا في الزِّيادة حُمِلت همزة (علباء) على همزة (حمراء)..."[1].

ومن هذا البابِ قولُهم: صحراوات، فأبدلوا الهمزة واواً لئلَّا يجمعوا بين علمَي تأنيثٍ، ثمَّ حملوا التثنيةَ عليه من حيث كان هذا الجمعُ على طريق التثنية، ثمَّ قالوا: علباوان، حملاً بالزيادة على حمراوان..."[2].

واعتبرَ النَّحويُّون في باب ما لا ينصرفُ الشَّبهَ اللَّفظيَّ دون المعنويِّ[3]، فمنعوا صرفَ من الأسماء نحو: أحمر وأصفر وأحمد؛ لِمَا في ذلك من مُضارعةِ لفظِ الفعل، فحذفوا التنوين من الاسم لمشابهته ما لا حصَّةَ له في التَّنوين، وهو الفعل، وجُذِبَت تلك الأسماءُ إلى حُكمِ الفعلِ مِن ترك التَّنوين. قال سيبويه: "واعلم أنَّ ما **ضارع** الفعلَ المضارِعَ من الأسماء في الكلام ووافقه في البناء أُجرَى لفظُه مُجرى ما يَستثقِلون ومنعوه ما يكون لما يَستخفُّونَ، وذلك نحو: أَبْيَضَ وأَسْوَدَ وأَحْمَرَ وأَصفرَ، فهذا بناء: أَذْهَبُ وأَعْلَمُ، فيكون في موضع الجرِّ مفتوحاً، استثقلوه **حين قارب في الكلام ووافق في البناء**"[4].

فمن **غايات التَّشبيهِ وعللِه طردُ البابِ** على حكمٍ واحدٍ، "وسببُ هذه الحمول والإضافات والإلحاقات= كثرةُ هذه اللُّغة وسَعتُها وغلبةُ حاجة أهلها إلى التَّصرُّف فيها والتَّرَكُّح[5] في أثنائها لما يُلابسونه ويكثرون استعمالَه من الكلام المنثور والشعر الموزون والخطب والسجوع، ولقوَّة إحساسهم في كلِّ شيءٍ شيئاً، وتخيُّلهم ما لا يكاد يَشعر به مَن لم يألف مذاهبهم"[6].

وللشَّبه اللَّفظيُّ أثرٌ في العملِ، ففي قول الشاعر:

---

[1] الخصائص 214/1-215.

[2] المصدر السابق 215/1.

[3] انظر: الدر المصون 439/4، والمقاصد الشَّافية للشَّاطبيِّ 562/7.

[4] الكتاب 21/1. وانظر: الخصائص 216/1، وسرُّ صناعة الإعراب 19/2.

[5] التصرف والتوسع، تَرَكَّحَ في ساحة الدار، وتَرَكَّحَ في المعيشة: تصرَّفَ.

[6] الخصائص 216/1.

فَلَيْسَتْ خُرَاسَانُ الَّتِي كَانَ خَالِدٌ بِهَا أَسَدٌ إِذْ كَانَ سَيْفاً أَمِيرُهَا

يحتمل أن يتعلَّق الظَّرف (إذ) بـ(ليس) وإن لم يكن فيها تقديرُ الحدث، وذلك أنَّ (ليس) تعملُ الرَّفعَ والنَّصبَ، وهي على مِثال الفعلِ، فكما عَمِلَت الرَّفعَ والنَّصبَ وإن عَرِيَت من معنى الحدث، كذلك أيضاً تنصب الظرفَ لفظاً كما عَمِلَت الرَّفعَ والنَّصبَ لفظاً، ولأنَّها على وزن الفعل[1].

واستُدلَّ بالشَّبه اللَّفظيِّ في الحِجاجِ النَّحويِّ، مِن ذلك أنَّ الخليل كان يذهب إلى أن (أل) حرفُ التَّعريف بمنزلة (قد) في الأفعال، وأنَّ الهمزةَ واللَّامَ جميعاً للتَّعريف، وحُكي عنه أنه كان يسميها (أل)، وأنه لم يكن يقول: الألف واللام، كما لا يقول في (قد): القاف والدال.

وممَّا استدلَّ به الخليلُ على مذهبه أنَّهم قالوا في التَّذكُّر: قام اَلِي، إذا نَوَوا بعده كلاماً؛ أي: الحارث أو العباس؛ فجرى قولك في التَّذكُّر: قدي؛ أي: قد انقطع، أو قد قام، أو قد استخرج، ونحو ذلك.

ورُدَّ مذهبُ الخليلِ بأنَّ انفصال التعريف عمَّا يليه عند التَّذكُّر لا يدلُّ على أنَّه في نية الانفصال منه؛ لأنَّ لقائلٍ أن يقول: "إنه حرفٌ واحدٌ، ولكنَّ الهمزةَ لمَّا دخلت على اللام فكَثُر اللَّفظُ بها **أشبَهَت** اللَّام بدخول الهمزة عليها من جهة اللَّفظ لا المعنى ما كان من الحروف على حرفين نحو: هل ولو ومن وقد؛ فجاز فصلها في بعض المواضع. وهذا الشَّبه اللَّفظيُّ موجودٌ في كثيرٍ مِن كلامهم"[2].

[1] المصدر السابق 402/2. والبيتُ للفرزدق، وهو في شرح الكتاب للسيرافي 246/1، وضرائر الشِّعر لابن عصفور 213.

[2] سرُّ الصِّناعة 19/2.

وقد يَغلبُ الشَّبهُ اللَّفظيُّ طريقَ المعنى، فمن ذلك ما حكاه سيبويه[1] من صرفهم جَنَدِلاً وذَلَذِلاً؛ "وذلك أنه لمَّا فقَدَ الألفَ التي في (جَنَادِل)[2] و(ذَلَاذِل)[3] من اللَّفظ أشبَهَ الآحادَ نحو: عُلَبِط[4] وخُزَخِز[5]، فصرف كما صرفا؛ وإن كان الجميع من وراء الإحاطة بالعلم أنَّه لا يُراد هنا إلا بالجمع؛ فغلب شبه اللَّفظ بالواحد وإن كانت الدَّلالةُ قد قامت من طريق المعنى على إرادة الجمع"[6].

ومِن الشَّبه اللَّفظيِّ ما يكونُ ضرورةً، فلا ينقاسُ، كحذف (أنْ) من جواب (عسى)، تشبيهاً لـ(عسى) بـ(لعلَّ)[7]، ومنه قول الشَّاعر[8]:

عَسَى الهَمُّ الَّذي أمْسَيْتَ فيهِ يكونُ وَرَاءهُ فَرَجٌ قَرِيبُ

وممَّا أُدرج في باب الضَّرورة من الشَّبه اللَّفظيِّ إثباتُ ألفِ (ما) الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جرٍّ، حملاً لها على (ما) الخبريَّة، "والمشهور أن إثبات الألف في (ما) الاستفهامية إذا دخل عليها حرف جرٍّ مختصٌّ بالضرورة"[9]، كقوله[10]:

على ما قامَ يَشْتُمِني لَئِيمٌ كَخِنزيرٍ تَمَرَّغَ فِي دمان

وتتبُّع الشَّبه اللَّفظيِّ ينبئ عن أنَّ **الحكم قد يستحقُّ بجزء العلَّة**، كدخول الفاء على خبر المبتدأ إن كان موصولاً معيَّناً؛ تشبيهاً له بالموصول العامِّ، نحو قوله صلى الله عليه وسلَّم: «رأيت رجلين

---

[1] الكتاب 228/3.

[2] الجنادل: مفردُه جُنَادِل، وهو الشَّديد العظيم.

[3] الذلاذل: مفردُه ذُلْذُل، وذِلْذِل، وهو ما يلي الأرض من أسافل القميص.

[4] رجل علبط: ضخم عظيم.

[5] رجل خزخز: غليظ قوي كثير العضل.

[6] سرُّ الصِّناعة 20/2.

[7] ما يجوز للشَّاعر في الضَّرورة 223–224.

[8] البيتُ لهُدبة بن الخشرم، وهو في شرح الكتاب للسِّيرافيِّ 388/3، واللمع لابن جني 144.

[9] البحر المحيط لأبي حيَّان 58/9.

[10] البيتُ لحسَّان بن ثابتٍ، وهو في ديوانه ص39، والمحتسب 347/2، وأمالي ابن الشَّجريِّ 547/2.

أتياني قالا: الذي رأيته يشق شدقه فكذاب»، وذلك أن المبتدأ لا يجوز دخول الفاء على خبره إلَّا إذا كان **شبيهاً** بـ (مَن) الشرطية أو أُختها (ما) في العموم واستقبال ما يتم به المعنى، نحو: الذي يأتيني فمُكرَمٌ، إذا لم تقصد آتياً معيَّناً، فـ(الذي) على هذا التقدير بمنزلة (مَن) في العموم واستقبال ما بعدها، فجاز أن يدخل الفاء في خبرها لشبهه بجواب الشرط، فلو كان المقصود بـ(الذي) معيَّناً زالت **مشابهة** (مَن) وامتنع دخول الفاء على الخبر كما يمتنع دخولها على أخبار المبتدآت المقصود بها التعيين، نحو: زيدٌ مُكرَمٌ، فلو قلت: فمُكرَم، لم يجز. لكن (الذي يأتيني) عند قصد التعيين شبيهٌ في اللفظ بـ(الذي يأتيني) عند قصد العموم، فيجوز دخول الفاء على خبره حملاً للشَّبيه على الشَّبيه، وإن لم تكن العلَّةُ موجودةً فيه، ويدل على أنَّ العربَ تعتبر مثل هذا بناؤها (رَقاشِ) وشبهه من أعلام الإناث المعدولة لشَبَهها بـ(نزالِ) وشبهه من أسماء الأفعال[1].

ب- الشَّبه المعنويُّ:

ليست مراعاة المعنى في مقابلة الأشباهِ بأقلَّ حظَّاً في النَّظر من مقابلة اللَّفظ، فباب الشَّبه المعنويِّ واسعٌ وأصيلٌ في الفكر النَّحويِّ، من ذلك أنَّ أبا عمرو بن العلاء سمع شخصاً من أهل اليمن يقول: فلانٌ لَغوبٌ أتته كتابي فاحتقرها، فقال له: كيف قلتَ أتته كتابي؟! فقال: أليس الكتاب في معنى الصحيفة.

وقال أبو عبيدةَ لرؤبة بن العجاج لمَّا أنشد:

فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلْقِ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوْلِيعُ الْبَهْقِ

إن أردتَ الخطوط فقل: كأنها، أو السواد والبلق فقل: كأنهما، فقال: أردت (ذلك) ويلك[2].

[1] شواهد التوضيح لابن مالك 241.

[2] انظر: مجاز القرآن 1/43-44.

وقالوا: (مررتُ برجلٍ أبي عشرة نفسُه، وبقومٍ عربٍ كلُّهم، وبقاعٍ عرفجٍ كلُّه)، برفع التوكيد فيهنَّ، فرفعوا الفاعل بالأسماء الجامدة وأكَّدوه لمَّا **لحظوا فيها المعنى**؛ إذ كان العرب بمعنى الفصحاء، والعرفج بمعنى الخشن، والأب بمعنى الوالد[1].

وإذا ذُكرَ الشَّبهُ المعنويُّ استحضرَ الدَّارسون أثره في باب البناء والإعراب، إذ كان من علل البناء، والمراد بالشَّبه في المعنى أن يكون الاسمُ متضمِّناً معنىً من معاني الحروف كـ(متى)؛ فإنَّها تتضمَّن معنى الهمزة إن كانت استفهاماً، ومعنى (إنْ) إن كانت شرطاً، وكـ(أين) أيضاً فإنها مثلها، وكأسماء الإشارة فإنها تضمَّنت معنى الإشارة، ولا شك أنَّه معنىً من معاني الحروف وإن لم يوضع له لفظٌ يدلُّ عليه، ولكنه كالخطاب والغيبة. "وإنما **كان الشَّبه المعنويُّ موجباً للبناء** لأنَّ حقَّ الاسم أن يدلَّ على معنىً في نفسه، فإذا وجد مع ذلك أنَّه قد دلَّ على معنىً في غيره كان **مشبهاً** للحرف في ذلك؛ إذ الدلالة على معنىً في الغير إنَّما هي من شأن الحروف"[2].

والعِبرةُ في باب الإعمالِ الشَّبهُ المعنويُّ، قال الفخرُ الرَّازيُّ: "مِن العرب من يُعمل (إن) ناقصةً كما يُعملها تامَّةً اعتباراً بـ(كان)؛ فإنها تعمل وإن نقصت في قولك: لم يكن؛ لبقاء معنى التأكيد وإن زال الشَّبه اللفظيُّ بالفعل؛ لأنَّ **العبرة للمعنى، وهذه اللُّغة تدلُّ على أنَّ العبرة في باب الإعمال الشَّبهُ المعنويُّ** بالفعلِ، وهو إثبات التوكيد، دون الشبه اللفظيِّ، كما أنَّ التعويل في باب (كان) على المعنى دون اللَّفظ؛ لكونه فعلاً محضاً، وأما اللُّغة الظاهرة وهي ترك إعمال (إن) الخفيفة دالةٌّ على أنَّ الشبه اللفظيَّ في (إن) الثقيلة أحد جزأي العلة في حق عملها، وعند الخفة زال الشبه، فلم تعمل، بخلاف السكون، فإنه عامل بمعناه؛ لكونه فعلاً محضاً ولا عبرة للفظه"[3].

على أنَّ **المشبَّه في المعنى لا يُعطى سائرَ حكمِ المشبَّه به**، فإنما شبَّهوا (تقول) في الاستفهام بـ(تظنُّ) على وجهٍ مخصوصٍ، قال سيبويه: "واعلم أنَّ (قُلت) إنَّما وقعت في كلام العرب على أن يُحكى بها، وإنَّما تَحكي بعد القول ما كان كلاماً لا قولاً، نحو: قلتُ زيدٌ منطلقٌ...، وكذلك جميع ما

[1] مغني اللبيب 755.

[2] تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد 1/ 238.

[3] تفسير الرازي 22/ 70.

تصرَّفَ من فعله إلَّا (تَقولُ) في الاستفهام، **شبَّهوها** بـ(تظنُّ)، ولم يجعلوا كـ(يظنُّ) و(أظنُّ) في الاستفهام؛ لأنَّه لا يَكادُ يُستفهَمُ المخاطَبُ عن ظنَّ غيره ولا يُستفَهم هو إلَّا عن ظنَّه، فإنما جُعلتْ كـ(تَظنُّ)، كما أنَّ (ما) كـ(ليس) في لغة أهل الحجاز **ما دامت في معناها، وإذا تَغيَّرت عن ذلك أو قُدِّم الخبرُ رجعتْ إلى القياس**، وصارت اللُّغاتُ فيها كلغة تميمٍ. ولم تُجْعَلْ (قلتُ) كـ(ظننتُ) لأنَّها إنَّما أصلُها عندهم أن يكون ما بعدها محكيًّاً، فلم تُدْخَلْ في باب (ظننتُ) بأكثرَ من هذا، كما أنَّ (ما) لم تَقْوَ قوَّةَ (ليس)، ولم تقع في كلِّ مواضعها؛ لأنَّ أصلها عندهم أن يكون ما بعدها مبتدأً"[1].

وقد يُشبَّه الشَّيءُ بالشَّيء وليس بمثله، فيقع التَّشبيه على نحوٍ من الشُّذوذ، قال سيبويه: "ومثل (أَنْ) في لزوم (ما) قولُهم: إمَّا لَا، فألزموها (ما) عوضاً. وهذا أَحْرَى أن يُلزموا فيه إذ كانوا يقولون: آثِراً ما، فيُلزِمُون (ما)، **شبَّهوها** بما يَلزم من النُّونات في (لأفعلنَّ)، واللامِ في (إن كان لَيَفعلُ)، وإن كان ليس مثلَه، وإنَّما هو شاذٌّ كنحوِ **ما شُبِّه بما ليس مثلَه**...".

على هذا يرى البحثُ أنَّ من شاذِّ التَّشبيه المعنويِّ: التَّشبيهُ بالنَّقيضِ، كتعدِّي (رضي) بـ(على) في قوله[2]:

إذَا رَضِيتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللهِ أعجبَنِي رِضاها

قال الكسائيُّ: إنَّما جاز هذا حملاً على نقيضه وهو (سَخِطَ).

وكذا الشأنُ في حذف خبر (إنَّ) مع المعرفةِ، أجازه البصريُّون، ويحكون عنهم أنهم إذ قيل لهم: إنَّ النَّاسَ إلْبٌ عليكم، فمن لكم؟ قالوا: إنَّ زيداً وإنَّ عمراً؛ أي: إنَّ لنا زيداً وإنَّ لنا عمراً. والكوفيُّون يأبَون حذفَ خبرِها إلَّا مع النَّكرة. أمَّا (أنَّ) فلم يمنعوا حذف خبرها المعرفة، ووجه فصلهم فيه بين المكسورة والمفتوحة أنَّ المكسورةَ حُذف خبرها كما حُذف خبر نقيضها (لا)، وهو قولهم: لا بأسَ ولا

[1] الكتاب 122/1.

[2] البيتُ للقحيف العقيليِّ، وهو في مجاز القرآن 84/2، ومعاني القرآن للأخفش 51/1، ونوادر أبي زيد 481.

شكَّ؛ أي: عليك، وفيه. فكما أنَّ (لا) تختصُّ هنا بالنَّكرات فكذلك إنما **تُشبهها نقيضتُها** في حذف الخبر مع النكرة أيضاً[1].

ونبَّه ابنُ هشامٍ على أنَّه **ليس بلازم أن يُعطى الشَّيء حُكمَ ما هو في معناه،** "ألا ترى أنَّ المصدر قد لا يُعطى حُكمَ (أنَّ) أو (أنْ) وصِلَتهما، وبالعكس. دليلُ الأول: أنَّهم لم يعطوه حكمهما في جواز حذف الجارِّ ولا في سدِّهما مَسدَّ جُزأي الإسناد، ثمَّ إنَّهم شَرَّكوا بين (أنَّ) و(أنْ) في هذه المسألة في باب ظنَّ، وخصُّوا (أن) الخفيفة وصلتها بسدها مسدهما في باب عسى، وخصُّوا الشديدة بذلك في باب (لو). ودليل الثاني: أنهما لا يعطيان حكمه في النيابة عن ظرف الزمان، تقول: عجبت من قيامك وعجبت أن تقوم وأنك قائم، ولا يجوز: عجبت قيامك..."[2].

ثالثاً: الأصول الضابطة للتشبيه:

على الرغم ممَّا تقدَّم من فروعٍ لقضيَّة التَّشبيه يبقى عصيَّاً على الدَّارس أن يُحكم تلك القضيَّة؛ إذ تفرَّقت ضوابطُ التَّشبيه في أقوال النُّحاة، ومع ما ساقه البحثُ من تنبيهاتٍ عند الكلام في الشَّبهَينِ اللَّفظيِّ والمعنويِّ فإنَّه يرى أن يُفرد القولَ في الأصول الضَّابطةِ للتَّشبيه؛ ليكون أتمَّ في إصابة المراد. فمن تلك الضَّوابط:

- **الأكثر أن يُشبَّه الفرعُ بالأصلِ ويُلحَقَ به،** ومِن ثَمَّ استدلَّ المالقي على فعليَّة (ليس) بتشبيه (ما) بها، قال: "ألا ترى أنَّ أبا عليٍّ قد ذكر في كتابه الإيضاح وغيره أنَّ (ما) النَّافية إنَّما عملت لشبهها بـ(ليس)[3]، فجعل (ليس) أصلاً في العمل، و(ما) فرعاً)، وليس ذلك إلَّا لتغليبه حكم الفعليَّة وتسميتها فعلاً، ولو كانت حرفاً عنده لم تكن أصلاً في العمل حتى يشبِّه بها (ما)، بل كانا يكونان أصلَينِ في ذلك، فاعلَمْه"[4].

---

[1] الخصائص 376/2.

[2] المغني 756.

[3] انظر: الإيضاح العضدي 110.

[4] رصف المباني 349.

على أنَّ الفروع قد تكثُر وتطَّرد حتى تغلبَ وتصير كالأصول، ثمَّ تشبه الأصول بها؛ "ألا ترى أن سيبويه أجاز في قولك: هذا الحسن الوجه أن يكون الجر في الوجه من موضعين، أحدهما: الإضافة، والآخر: تشبيهه بـ(الضارب الرجل) الذي إنما جاز فيه الجر تشبيهاً له بـ(الحسن الوجه)...، فإن قيل: وما الذي سوغ سيبويه هذا وليس مما يرويه عن العرب رواية وإنما هو شيء رآه واعتقده لنفسه وعلل به؟ قيل: يدلُّ على صحَّة ما رآه من هذا وذهب إليه ما عرفه وعرفناه معه من أنَّ **العرب إذا شبهت شيئاً بشيء مكنت ذلك الشبه لهما، وعمَرت به الحال بينهما**؛ ألا تراهم لمَّا شبَّهوا الفعل المضارع بالاسم فأعربوه تمَّموا ذلك المعنى بينهما بأن شبَّهوا اسم الفاعل بالفعل فأعملوه"[1].

- **لا بدَّ أن يشيع المشبَّه به ويكثر**؛ لأنَّ الحمل على الأكثر أولى من الحمل على الأقلِّ، ولذلك كانت الضَّمائر كلُّها مبنيَّةً؛ لشَبَه أكثرها بالحرفِ في الوضع، وحمل باقيها عليه[2].
- **الشيء إذا أشبه الشيء أعطي حكماً من أحكامه على حسب قوَّة الشَّبه**، قال ابن يعيش: "والشيءُ إذا أشبهَ الشيءَ أُعطي حُكْماً من أحكامه على حسب قوَّة الشَّبَه. وليس كل شَبَهٍ بين شيئَيْن يُوجب لأحدهما حُكْماً هو في الأصل للآخر، ولكنَّ الشَّبَه إذا قوِي أوْجَبَ الحكمَ، وإذا ضعُف لم يُوجِب. فكلَّما كان الشَّبهُ أخصَّ كان أقوى، وكلَّما كان أعمَّ كان أضعف. فالشبهُ الأعمُّ كشَبَهِ الفعل بالاسم من جهةِ أنَّه يدلُّ على معنىً، فهذا لا يُوجِب له حكماً؛ لأنَّه عامٌّ في كلِّ اسمٍ وفعلٍ. وليس كذلك الشَّبهُ من جهةِ أنَّه ثانٍ باجتماع السببَيْن فيه؛ لأنَّ هذا يختصُّ نوعاً من الأسماء دون سائرها، فهو خاصٌّ مُقرِّبٌ الاسمَ من الفعل"[3].

ومن فرع ذلك أنَّ الحال تُشْبِه المفعولَ على سبيلِ العُموم، ولا تخُصُّ مفعولاً دون مفعولٍ، ولها شَبَهٌ خاصٌّ بالمفعول فيه، وخُصوصاً ظرف الزَّمان؛ وذلك لأنَّها تُقدَّر بـ(في)، كما يُقدَّر الظرفُ بـ (في)، فإذا قلت: جاء زيدٌ راكباً، كان تقديرُه: في حالِ الركوب، كما أنَّك إذا قلت:

---

[1] الخصائص 304/1-305.

[2] إرشاد السالك لابن القيم 114/1.

[3] شرح المفصَّل 166/1.

جاء زيدٌ اليوم، كان تقديرُه: جاء زيدٌ في اليوم، وخصُّ الشَّبَهُ بظرف الزَّمان لأنَّ الحال لا تبقَى، بل تنتقِل إلى حالٍ أُخْرَى، كما أنَّ الزمان مُنْقَضٍ لا يبقى، ويخلُفُه غيره. ولمَّا أشبهت الحالُ الظَّرفَ عمل فيه حروفُ المعاني كـ(ليت) و(كأنَّ)[1].

ومن فروع ذلك أيضاً أنَّ (مَنْ) الموصولةُ تُفارق ما شُبِّهت به (الَّذي) في أنَّها لا توصَف كما توصَف (الذي)، ولا يوصَف بها كما يوصف بـ(الذي)، تقول: جاءني زيد الذي قام، وجاءني الذي قام الظريف، فتصف (الذي) وتصف بها، ولا تفعل ذلك في (مَن)؛ لخروجها عن شَبَهِ الأسماء المتمكِّنة، وشَبَهِها بالمضمرات بنَقْصِ لفظها، إذ هي على حرفَين، والأسماءُ الظاهرة لا تكون على أقل من ثلاثةِ أحرفٍ، فلمّا بعُدتْ من الظاهر لم توصَف ولم يوصَف بها[2].

ومن ذلك أنَّ القياس في الأسماء المبهمة ألَّا تُصغَّر، من حيث كانت مبنيَّة على حرفَيْن كـ(مَنْ) و(مَا)، إلا أنها لمَّا كان لها شَبَهٌ بالظاهر من حيث كانت تُثنَّى، وتُجمَع، وتوصَف ويوصف بها، والتصغيرُ وصفٌ في المعنى، فدخلها التصغيرُ كما دخلها الوصفُ. ولمَّا كانت مُخالِفةً للأسماء المتمكِّنة خالفوا بين تصغيرها وتصغير المتمكِّنة، بأن غيَّروها على غير منهاج تغيير تصغير الأسماء المتمكِّنة، وصار ذلك دلالةً على حقارة المشار إليه، كما كان تغييرُ الأسماء المتمكِّنة بضمّ أوائلها وبنائها على (فُعَيْلٍ) و(فُعَيْعِلٍ) دلالة على صِغَر المسمَّى[3].

- **ألا يكون المشبه به خارجاً عن سنن القياس**، ومِن ثَمَّ لا يُنصب غيرُ (غدوة) مع (لدن) ولا يُرفَع؛ إذ **شَبَّه** بعضُهم (غدوةً) بالفاعل فرفعها فقال: لدن غدوةٌ، كما تقول: قام زيدٌ. ولا يُنصب غيرُ (غدوة) مع (لدن)؛ وذلك لكثرة استعمالها، فغيَّروها عن الجرِّ، فلا تقول قياساً على (لدن غدوةً): لدن بُكْرَةً؛ لأنه لم يكثر في كلامهم كثرةَ (لدن غدوة)[4].

[1] المصدر السابق 4/2.
[2] المصدر السابق 380/2.
[3] المصدر السابق 434/3.
[4] شرح المفصَّل 130/3.

وأحسبُ أنَّه يندرجُ في هذا الضَّابط ما ذهب إليه ابنُ عصفورٍ مِن أنَّ الإغراء بوضع الظَّرف أو المجرور موضع فعلِ الأمرِ لا يجوز إلَّا فيما سُمع عن العرب، نحو: عليك، ودونك، وإليك[1].

رابعاً: النَّتائج:

- تجري ظاهرةُ الشَّبه في علم العربيَّة مجرى عِلَلِه، وتُبرز خصيصةً من خصائص الفكر النَّحويِّ، وتُجلِّي أوجهَ القياسِ الَّتي أُسِّس عليها.
- امتدَّ أثر قياس الشَّبه في أرجاء النَّحو؛ إذ كان بعضَ مفهومِه، ومسلكاً من مسالك علله، وإن كان قياسُ العلَّةِ أجلى في الاستدلالِ، وألْزَمُ عند اللَّجاجِ.
- تُبرز هذه الدِّراسةُ أصالةَ مبدأ الأشباه والنَّظائر في الفكر النَّحويِّ، وأنَّ الاتِّكاء على الشَّبه في تعليل الحكم النَّحويِّ مسايرٌ لتفتُّق الذِّهنيَّة العربيَّة، ونفى البحثُ الرَّأي القائل بغلبة السَّماع على القياس عند النُّحاةِ الأوائل.
- يمنحُ الشَّبهُ الدَّارسينَ يُسراً في معالجة قضايا العربيَّة؛ لأنَّه يُظهر الانسجام بين الظَّواهر اللُّغويَّة، كما يمُدُّ الشَّبهُ الباحثين بأدوات الحِجاجِ النَّحويِّ.
- لمح النحاةُ التشبيهَ من كلام العرب، فاستعملوه لإحكام ما ندَّ وخرج عن الكثيرِ الشَّائعِ، وأناطوا به الأحكامَ، فكان من غايات التَّشبيهِ طردُ البابِ على حكمٍ واحدٍ.
- صاغ البحثُ جملةً من الضوابط النَّاظمةِ لقاعدةِ التَّشبيه؛ منه: المشبَّه في المعنى لا يُعطى سائرَ حكمِ المشبَّه به، التَّشبيهُ بالنَّقيضِ من شاذِّ التَّشبيه المعنويِّ، الأكثر أن يُشبَّه الفرعُ بالأصلِ ويُلحَقَ به، لا بدَّ أن يشيع المشبَّه به ويكثر، الشيء إذا أشبه الشيء أعطي حكماً من أحكامه على حسب قوَّة الشَّبه، ألا يكون المشبه به خارجاً عن سنن القياس.

[1] الأشباه والنظائر للسيوطي 672/1.

خامساً: المصادر والمراجع:

- إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، إبراهيم بن محمد ابن القيم (767هـ)، ت: محمد بن عوض بن محمد السهلي، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1954م.
- الأشباه والنظائر في النحو، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (911هـ)، ت: عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د. ط، د. ت.
- الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلَّة في أصول النَّحو، عبد الرَّحمن بن محمَّد الأنباري (577هـ)، ت: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السُّوريَّة، 1957م.
- الاقتراح في أصول النحو، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (911هـ)، ضبطه وعلَّق عليه: عبد الحكيم عطيّة، دار البيروتي، دمشق، ط2، 2006م.
- الإيضاح العضدي، أبو علي الفارسيّ (377هـ)، ت: حسن شاذلي فرهود، د. ن، ط1، 1969م.
- الإيضاح في علل النحو، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (337هـ)، ت: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1979م.
- البحر المحيط في التفسير، محمد ابن حيان الأندلسي (745هـ)، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د. ط، 1420هـ.
- تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، محمد بن أبي بكر الدَّماميني (827هـ)، ت: محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى، د. ن، ط1، 1983م.
- التكملة، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (377هـ)، ت: كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1999م.
- التَّلخيص في أصول الفقه، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (478هـ)، ت: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محمَّد بن يوسف المعروف بناظر الجيش (778هـ)، ت: علي محمد فاخر وجابر محمد البراجة وإبراهيم جمعة العجمي وجابر السيد المبارك وعلي السنوسي محمد ومحمد راغب نزال، دار السَّلام، مصر، ط1، 1428هـ.
- الخصائص، عثمان بن جني (392هـ)، ت: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د. ط، د. ت.
- الدر المصون في علم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (756هـ)، ت: أحمد محمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، ط1، 1986م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالَقي (702هـ)، ت: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ط، د. ت.
- سر صناعة الإعراب، عثمان بن جني (392هـ)، ت: أحمد رشدي شحاته عامر ومحمد فارس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.
- شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش (643هـ)، قدّم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، محمد بن عبد الله ابن مالك (672هـ)، ت: طه محسن، مكتبة ابن تيمية، ط1، 1405هـ.
- ضرائر الشِّعر، علي بن مؤمن ابن عصفور (669هـ)، ت: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، ط1، 1980م.
- فيض نشر الانشراح من روض طيِّ الاقتراح، محمد بن الطيب الفاسي، ت: محمود يوسف فجَّال، دار البحوث للدِّراسات الإسلاميَّة وإحياء التُّراث، دبي، ط1، 2000م.
- قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني (489هـ)، ت: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان سيبويه (180هـ)، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988م.

- ما يجوز للشاعر في الضرورة، محمد بن جعفر القزاز القيرواني (412هـ)، ت: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، دار العروبة بالكويت، ودار الفصحى بالقاهرة، د. ط، د. ت.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى (209هـ)، محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1381هـ.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، عثمان بن جني (392هـ)، وزارة الأوقاف، الكويت، د ط، 1999م.
- المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (505هـ)، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.
- معاني القرآن، سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (215هـ)، ت: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1990م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (395هـ)، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، د. ط، 1979م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف ابن هشام (761هـ)، ت: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، ١٤٢٠هـ.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة، إبراهيم بن موسى الشاطبي (790هـ)، ت: محمد إبراهيم البنا، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 2007م.
- النحو العربي العلة النحوية تاريخها ونشأتها وتطورها، مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، ط3، 1981م.

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد الأنباري (٥٧٧هـ)، ت: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1985م.
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، دار المعارف، مصر، ط2، د. ت.
- النوادر في اللغة، أبو زيد الأنصاري (215هـ)، ت: محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، ط1، 1981م.

الحواريَّةُ اللغويّةُ

في مشاهدِ أخبارِ صدرِ الإسلامِ وعصرِ بنـي أميَّةَ

طالبة الدكتوراه: رنا شاهين، كليَّة الآداب، جامعة حمص

إشراف: أ. د. سمر الديوب

ملخَّصُ البحث

يفترضُ البحثُ بناءَ مشـاهدِ النُّصـوصِ الخبريَّةِ المشـكِّلةِ مدوَّنةَ البحثِ على أسـاس التفكُّكِ الأيديولوجيِّ للُّغة بما يقوِّضُ الأحاديَّةَ اللغويَّةَ في النُّصـوصِ المذكورةِ، ويفتحُها على تعدُّديَّةِ اللغات الأيديولوجيَّة التي ترتبطُ بعلاقاتٍ حواريَّةٍ تفاعليَّةٍ تشكِّلُ خصوصيَّتها الأسلوبيَّةَ.

يتَّخذُ البحثُ الفرضـيَّةَ المذكورةَ أصـلاً؛ لاسـتنباطِ بعضِ النَّتائجِ اللازمة عنها. ويهدفُ إلى إثباتِ صـحَّةِ النَّتائجِ المُسـتَنبَطةِ، ومن ثمَّ إثباتِ صـحَّةِ الفرضـيَّة بدراسـةِ نصـوصٍ خبريَّةٍ تنتمي زمنيّاً إلى صدرِ الإسلامِ وعصرِ بني أميَّةَ تحت محورين رئيسين:

- يدرسُ المحور الأولُ التَّفكُّكَ الأيديولوجيَّ لِلُغة المشهدِ الخبريِّ.
- ويدرسُ المحورُ الثَّاني الحواريَّةَ اللغويَّةَ النَّاجمةَ عن عمليَّة التَّفكُّكِ المحدَّدةِ في المحورِ الأوَّلِ مبيِّناً ماهيَّتهَا، وخاصيَّتهَا، وأنماطَها في المشاهد الخبريَّة.

الكلمات المفتاحيَّة: حواريَّة لغويَّة، مونولوجيَّة، خبر، مشهد، تفكُّك لغويّ.

Linguistic Dialogue

In the news scenes of sadr al-Islam and the era of Bani Umayyah

Summary of the research

The research assumes the construction of the scenes of the news texts constituting the research blog on the basis of the ideological deconstruction of language, which undermines the linguistic monolingualism in the mentioned texts and opens them to a plurality of ideological languages that are linked by interactive dialogue relationships that constitute their stylistic specificity.

The research takes the mentioned hypothesis as a basis in order to derive some necessary results from it. It aims to prove the validity of the deduced results, and then to prove the validity of the hypothesis by studying news tests belonging chronologically to Sadr al-islam and The Bani Umayyah era under two main axes:

- The first axis examines the ideological disintegration of the language of the news scene.
- The second axis studies the linguistic dialogue resulting from the process of disintegration identified in the first axis, indicating its nature, characteristics and patterns in the news scenes.

Keywords: Linguistic dialogue, monologue, news, scene, linguistic disintegration.

مقدمة:

يحدِّدُ باختينُ الحواريَّةَ اللغويَّةَ بالقول: "هي الحواريَّةُ النَّاجمةُ عن صـــراعِ وجهات النَّظر اللغويَّة الأيديولوجية"[1]. فـ "الصِّراعُ لا يتمُّ داخل اللغة ذاتها بين إرادات الأفراد، أو التناقضات المنطقيَّة"[2]؛ إذ يؤكِّدُ باختينُ أنْ "لا يمكن للحواريَّة الدَّاخليَّة أن تصـبح القوَّة الجوهريَّة المبدعة للشـكل إلا حيث يُخصـب التَّعدُّدُ اللغويُّ الاجتماعيُّ الخلافات والتَّناقضـات الفرديَّة، فلا تتردَّدُ الأصـــداءُ الحواريَّةُ في قمم معاني الخطاب، بل تنفذ إلى طبقاته العميقة وتجعلُ اللغةَ ذاتها والرُّؤية اللغويَّة حواريَّتين، وحيث ينشـــأ حوار الأصـــوات من الحوار الاجتماعي بين اللغات، وحيث يأخذ خطاب الآخر يتردَّدُ وكأنه لغة اجتماعيَّة غريبة، وحيث يتحوَّل توجُّه الخطاب وسط أقوال الآخرين إلى توجُّه وسط لغات غريبة اجتماعيَّاً في نطاق اللغة القومية الواحدة"[3].

فالتعدُّد اللغويُّ الأيديولوجيُّ يتمثَّل نصِّيّاً في خطابات الشَّخصـيَّات ذات الخصـوصـيَّة، فهي تعبِّرُ عن نوازعها الفرديَّة على نحو يحيلُ على انتمائها الأيديولوجي محقِّقة ما يســـميه باختين بـــ "الاندماج الفني"[4] بين الذاتي والجمعي، فيمثِّلُ خطابُ الشخصيَّة لغة أيديولوجيَّة تعبِّر عن وجهة نظر لغويَّة محدَّدة إزاء العالم، ففي هذا النَّمط من "السَّـــرد الحواريِّ، خلافاً للذَّاتيِّ، أو الأحاديِّ (المونولوجيِّ)، لا تشـــكِّلُ آراء منتج النَّصِّ وأحكامه وحتى معرفته المرجعَ النِّهائيَّ بالنِّسبة للعالم المعروض، ولكن مجرَّد إسهام بين إسهامات أخرى، ومشاركة في حوار، فالسَّـــرد الحواريُّ يمتاز بتعدُّد الأصـــوات والآراء تجاه العالم بحيث لا يمتلك أي منها تفوُّقاً أو سلطة على غيره"[5].

---

[1] ينظر: باختين، ميخائيل، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاق، دمشق، سوريا، منشورات وزارة الثقافة، د ط، 1988م، ص25.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص25.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص40-41.

[4] ينظر: باختين، ميخائيل، شـعرية دوسـتويفسـكي، تر: جميل نصـيف التكريتي، مراجعة: حياة شـرارة، الدار البيضـاء، المغرب، دار توبقال للنشر، ط1، 1986م، ص111.

[5] برنس، جيرالد، المصـــطلح الســـردي، تر: عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003م، ص59.

تدخلُ خطابات الشَّـخصـيَّات المختلفة جوهريَّاً، والمحققة حضـوراً أيديولوجيَّاً متكافئاً في حوارات فكرية من شأنها إغناء الموضوع المثار للنقاش.

استمدَّ باختينُ أسسَ نظريَّتهِ حولَ حواريَّةِ اللغةِ والخطابِ من دراساته في الرِّواية، خاصة ما أنتجه الرِّوائيَّان الرُّوسيَّان تولستوي L.Tolstoy ودوستويفسكي F.Dostoevsky "ففي عام 1929م أصـدر باختين كتابه (شـعرية دوسـتويفسـكي)، وقد بيَّن فيه أنَّ روايات دوسـتويفسـكي تتميَّزُ بتعدُّدِ الأصـوات، وتمتعها بحريَّة الاختلاف، حيث يسـمح الكاتب لمختلف الشـخصـيات بالتعبير عن اختلافها بعيداً عن هيمنته بوصـــفه روائيَّاً، وهو ما يجعل رواياته حواريَّة على عكس ما نجد لدى تولسـتوي الذي يهيمن لديه صـوت المؤلف على أصـوات الشَّـخصـيَّات، فيُخضعها لرؤيته مما يجعل رواياته أحادية الخطاب، أو مونولوجية"[1].

يأتي مفهوم المونولوجيَّة عند باختين مضادّاً لمفهوم الحواريَّة فـــ "المونولوجيَّة ترفضُ أنَّ هناك وعياً آخر يوجد خارجها له الحقوق نفسـها وهو قادر على الاسـتجابة على قدم المسـاواة، أنَّ هناك آخر مســاوياً للأنا (هو أنت). يظلُّ الآخر في المنظور المونولوجي مجرَّد موضــوع للوعي، ولا يمكن له أن يشـكل وعياً آخر. إنَّ المونولوج المكتمل لا يسـتطيع سـماع اسـتجابة الآخر، إنه لا ينتظرها، ولا يمنحها أيَّة قوة حاســمة. يســتطيع المونولوج أن يتحقق من دون الآخر"[2].

هدف البحثِ، وجديدهُ، ومنهجهُ:

يهدفُ البحثُ إلى تقديمِ دراسةٍ سرديَّةٍ تشكِّلُ قطيعةً إبيستيمولوجيَّةً داخلَ حقلِ الدِّراساتِ النَّقديَّة التي عُنيت بالنَّثر الأدبيِّ في العصرِ الإسلاميِّ.

---

[1] ينظر: الرويلي، ميجان، البازعي، ســعد، دليل الناقد الأدبي، الدار البيضــاء، المغرب، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، ط3، 2002م، ص318.

[2] ينظر: تودوروف، تزفيتان، ميخائيل باختين: المبدأ الحواري، تر: فخري صـالح، بيروت، المؤسـسـة العربية للدراسـات والنشر، ط2، 1996م، ص197.

تعتمدُ الدِّراسةُ إجراءاتِ النَّقدِ الحواريِّ الذي أسَّسه النَّاقدُ الرُّوسيُّ ميخائيل باختين M.Bakhtine (1895-1975م). وإذ يَعُدُّ باختينُ الرِّوائيَّ الرُّوسيَّ فيدور دوستويفسكي F.Dostoevsky مبدعَ المبدأ الحواريِّ، يهدفُ البحثُ إلى إثباتِ سبقِ الإخباريين العربِ في بناءِ نصوصِهم الخبريَّة على وفق المبدأ المذكور. فقد تمكَّنَ البحثُ من إعادةِ إدراكِ خطاباتِ الشَّخصيَّاتِ الخبريَّةِ المكوِّنةِ مشاهدَ الأخبارِ المشكِّلة مدوَّنة البحثِ في ضوء ربطها بعمليَّةِ التَّفكُّكِ اللُّغويِّ، ليتبيَّن أنَّ خطابَ الشَّخصيَّة الخبريَّة يشكِّلُ لغةً أيديولوجيَّةً، وأنَّ حوارَ خطاباتِ الشَّخصيَّاتِ الخبريَّةِ ناجمٌ عن الحوارِ الأيديولوجيِّ بينَ اللُّغات. ومن ثمَّ تَميزُ الحواريَّةُ اللُّغويَّةُ الناجمةُ عن تفكُّكِ لغةِ المشهدِ الخبريِّ إلى لغاتٍ اجتماعيَّةٍ أيديولوجيَّةٍ أسلوبيَّةَ مشاهدِ أخبارِ صدرِ الإسلامِ وعصرِ بني أميَّةَ بعضِها.

وفي سياقِ تلقِّي النَّصِّ الخبريِّ، تُحدثُ الدِّراسةُ خرقاً على مستوى نظامِ التَّلقِّي القائمِ على انتظارِ قارئ الخبرِ الأدبيِّ مأثورَ القولِ أو الفعلِ. وتؤسِّسُ استراتيجيَّةَ القراءةِ الحواريَّةِ للأثرِ الخبريِّ فاتحةً للمتلقِّي آفاقَ انتظارٍ جديدة.

تتجاوزُ الدِّراسةُ حدودَ اللسانيَّاتِ إلى ما يُطلقُ عليه باختينُ اسمَ metalingvistics الذي ترجمهُ تودوروف بـــ "عبر اللسانيَّات"، وهو ما يُعرفُ في النَّقد المعاصرِ بالتَّداوليَّة[1]. فتنتقلُ الدِّراسةُ السرديَّة المُقترَحةُ من دراسةِ المتنِ الخبريِّ دراسةً محايثةً إلى دراسته في إطار نظريَّةِ التَّواصلِ الأدبيِّ بعدِّه خطاباً غيرَ منفصلٍ عن وضعيَّةِ تخاطبٍ محدَّدةٍ، فتُؤوِّلُهُ بالمقالِ والمقام.

[1] للتَّوسُّع يُنظر: ميخائيل باختين: المبدأ الحواري، ص 58.

مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية:

الحوارية اللغوية:

هي حواريَّة ناجمة عن صراع وجهات النظر اللغوية الأيديولوجية.

المشهد:

يُطلق هذا المصطلح على مواضع القَصِّ المفصَّلِ الذي قد ينطوي على الوصف المبأر، أو الحوار في مقابل السَّرد المجمل. ويتميَّز المشهد بخصيصتين: الأولى تصوير الأحداث بتفاصيلها الكاملة، ونقل خطابات الشَّخصيَّات بحذافيرها، والثَّانية: خلق وهم التمثيل[1].

الخبر:

الخبرُ شكلٌ أساسيٌّ من أشكال السَّرد العربيِّ القديم، وربُّما أطلق عليه اسم الحديث الذي ارتبط معناه بما روي عن الرسول (ص) من أقوال. ويشترك الخبر مع الحديث النَّبويِّ في قيام كلٍّ منهما على سند ومتن، غير أنَّ وظيفةَ السَّند في الحديث النَّبويِّ هي تحقيق الحديث؛ أي البرهنة على أنه حقيقيٌّ قد صدر عن الرَّسول فعلاً، أما في الخبر الأدبيِّ فالإسناد وسيلة للمشاكلة؛ أي إيهام القارئ أو السامع أن الخبر ممكن الوقوع إن كان مداره على الأحداث، وممكن القول إن كان مداره على الأحاديث[2].

---

[1] مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف: محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط1، 2010م، ص394.

[2] المرجع نفسه، ص170.

التهجين:

المزج بين لغتين اجتماعيتين في نطاق القول الواحد. إنه اللقاء على ســـاحة هذا القول بين وعيين لغويين مختلفين تفصل بينهما حقبة تاريخية أو تباين اجتماعي أو كلاهما معاً[1].

الإنارة الحوارية الداخلية للنظم اللغوية[2]:

تختلف عن التهجين؛ إذ لا يوجد في الإنارة المتبادلة مزج مباشر للغتين في نطاق القول الواحد، بل إن اللغة الواحدة تُفعَّل في القول إنما تُعطى في ضوء لغة أخرى. وهذه اللغة الثانية لا تُفعّل، بل تبقى خارج القول.

والشكل الأكثر وضوحاً لهذا النوع هو **الأسلبة**: إن أي أسلبة حقيقية هي تصوير فني لأســلوب لغوي غريب. وهي تنطوي على وعيين لغويين مفرَّدين: الوعي المصــوِّر، أي الوعي اللغوي المؤسلِب، والوعي المصوَّر؛ أي المؤسلَب. وتتميز الأسلبة عن الأسلوب المباشر بهذا الوجود للوعي اللغوي بالضــبط، أي وعي المؤســلِب وجمهوره الذي يعاد على ضــوئه إنشــاء الأسلوب المؤسلَب وعلى خلفيته يكتسب معنى وبعداً جديدين.

والنمط الأقرب من أنماط الإنارة الحوارية الداخلية المتبادلة هو **التَّنويع**: ففي الأســلبة لا يشـتغل الوعي اللغوي للمؤسـلِب إلا بمادة اللغة المؤسـلَبة حصـراً فهو ينير هذه اللغة المؤسـلَبة ويُدخل عليها اهتماماته اللغوية الغريبة، لكنه لا يدخل عليها مادته اللغوية الغريبة المعاصــرة. الأسلبة بما هي كذلك يجب أن تكون منسجمة حتى النهاية فإذا ما دخلتها مادة لغوية معاصرة (كلمة، شــكل، عبارة ...) فهذا عيب فيها. لكن هذا اللاانســجام قد يكون مقصــوداً ومنظماً فالوعي اللغوي المؤســلِب قد لا ينير اللغة المؤســلَبَة وحســب، بل قد يتلقى هو نفســه الكلمة ويُدخل مادته موضــوعاً أو لغةً في اللغة المؤســلَبة. وفي هذه الحالة لا نكون أمام أســلبة بل

[1] الكلمة في الرواية، ص144.

[2] المرجع نفسه، ص149 وما بعدها.

تنويع. إن التنويع يدخل المادة اللغوية الغريبة في الموضـوعات المعاصـرة بحرية ويقرن العالم المؤسلَب بعالم الوعي المعاصر، ويضـع اللغة المؤسلَبة على محك الاختبار في مواقف جديدة وغير ممكنة بالنسبة لها.

وفي نمطٍ آخر من أنماط الإنارة الحوارية الداخلية المتبادلة بين اللغات لا تكون مقاصـدُ الكلمة المصـوِّرة على وفاق مع مقاصـد الكلمة المصـوَّرة، بل تقاومها، فهي لا تصـور العالم المادي الفعلي بمسـاعدة اللغة المصـوَّرة بوصـفها وجهة نظر مثمرة، بل تصـوِّره عن طريق تهديمه الفاضح. تلك هي **أسلبة المحاكاة السَّاخرة**.

الحوارات الخالصة:

إنَّ التَّقابل الحواريَّ بين اللغات الخالصـة وسـيلة جبَّارة في إنشـاء صـور اللغات. إنَّ التَّقابل الحواريَّ بين اللغات (وليس بين المعاني في حدود اللغة الواحدة) هو الذي يرسـم حدود اللغات ويخلق الإحساس بهذه الحدود، ويجعلنا نلمس الأشكال اللدائنيَّة للغات[1].

المقاربة التداولية:

دراسة النص في علاقته بالسياق التواصلي[2].

[1] الكلمة في الرواية، ص152.

[2] حمداوي، الجميل، التداوليات وتحليل الخطاب، ط1 2015م. ص4.

أولاً: التَّفكُّكُ الأيديولوجيُّ لِلُغةِ المشهدِ الخبريِّ:

نهضَ مجتمعُ الجاهليَّةِ على نظامٍ طبقيٍّ قائمٍ على أساسٍ اقتصاديٍّ. ومع قيام دولة الإسلام نشأت طبقات جديدة استناداً إلى أسسٍ جديدةٍ أيديولوجيَّةِ التَّوجُّهِ. وإذ تفترضُ العلاقةُ التفاعليَّةُ بينَ الأدبِ والمجتمعِ مواكبةَ الأدبِ التَّغيراتِ المستجدَّةَ في المجتمعِ، نشأَ الخبرُ الأدبيُّ حواريُّ الطَّابعِ؛ ليستوعبَ التَّشكُّلات الأيديولوجيَّة الجديدة في المجتمع الإسلاميِّ بعد أن أعادَ إنتاجَها فنيَّاً عبرَ إدخالِها في علاقاتٍ حواريَّةٍ تفاعليَّةٍ أسهَمتْ في تطوير نُظُمِها الفكريَّة، ليُشكِّلَ هذا البناءُ الأسلوبيُّ إرهاصات المبدأ الحواري الذي نسبه باختين لدوستويفسكي إذ عدَّهُ مؤسِّسَهُ.

يفترضُ التَّشكُّلُ الأسلوبيُّ المذكورُ تفكُّكَ لغةِ المنجزِ الخبريِّ أيديولوجيَّاً:

1. فكيفَ تتفكَّكُ لغةُ النَّصِّ الخبريِّ الحواريِّ؟
2. وماذا تُنتجُ عمليَّةُ التَّفكُّك المذكورة؟
3. وما أهدافُها على المستويين الفكري والفني؟
4. وإذ تنطلقُ الدِّراسةُ من أنَّ الأدبَ ليس ركاماً من النُّصوص المفردة، إنما مجموع ما بينها من علاقات. فهل يمكنُ جمعُ النُّصوص الخبريَّة حواريَّة التَّوجُّه في جنسٍ خبريٍّ فرعيٍّ يحدِّدُ للقارئ شكل تلقِّي النص الخبري الحواري، وتأويله؟

ستتمُّ الإجابة عن الأسئلة المُقدَّمَة بوساطة التحليل الآتي:

الخبرُ الأدبيُّ نوعٌ سرديٌّ وجيزٌ يتَّجهُ نحوَ تقليصِ الزَّمن، فيُشكِّلُ التَّناوبُ بين المُجْمَلِ والمَشْهَدِ حركةَ إيقاعِهِ الأساسيَّةَ؛ إذ يُجمِلُ الرَّاوي سردَ الأحداثِ الثَّانويَّةِ، ويستخدمُ المشهدَ الحواريَّ؛ لإبرازِ الحدثِ المحوريِّ. وكثيراً ما تقتصرُ البنيةُ السَّرديَّةُ للخبرِ الأدبيِّ على مشهدٍ حواريٍّ يعمدُ فيه الراوي إلى نقلِ أقوالِ الشَّخصيَّاتِ الخبريَّةِ بطريقةِ الخطابِ المباشرِ مُحْدِثاً قطيعةً تركيبيَّةً بينَ خطابِه وخطابِ الشَّخصيَّةِ الخبريَّةِ؛ بهدفِ تقريبِ المسافةِ السَّرديَّةِ بين المرويِّ والمتلقِّي، وتقويةِ الإيهامِ بالمحاكاة.

تحقِّقُ خطاباتُ الشَّخصيَّاتِ الخبريَّةِ في بعضِ المشاهدِ السَّرديَّةِ، إلى جانب استقلالِها التَّركيبيِّ، استقلالاً أيديولوجيّاً يحيلُها إلى عناصرَ تفكيكيَّة تقوِّضُ الأحاديَّةَ اللُّغويَّةَ في المشهدِ السَّرديِّ، وتفتحُهُ على تعدُّديَّةِ اللُّغاتِ الأيديولوجيَّة، فيُبنى المشهدُ الخبريُّ على أساسِ التَّفكُّكِ اللُّغويِّ الَّذي يقترحُ البحثُ تعريفَه بأنَّهُ: أسلوبٌ فنيٌّ يَفترضُ النِّسبيَّةَ في نظامِ النَّصِّ اللُّغويِّ.

يمكنُ عَدُّ عمليَّةِ تفكُّكِ اللُّغةِ في المشـــهدِ الخبريِّ مُنتَجَةً ومُنتِجَةً؛ إذ تَنْتُجُ بفعلِ تباينِ الرُّؤى الأيـديولوجيَّـة إزاءَ العـالم، وتُنتِجُ حواريَّـةً لغويَّـةً تتحقَّقُ في مســـتويَيْ علاقـةِ الراوي بشخصيَّاتِه، وعلاقةِ الشَّخصيَّةِ بالشَّخصيَّةِ المقابلةِ لها في السِّياقِ التَّخاطبيِّ.

تُشكِّلُ الحواريَّةُ اللُّغويَّةُ النَّاجمةُ عن عمليَّةِ التَّفكُّكِ الخصوصيَّةَ الأسلوبيَّةَ للنَّصِّ الخبريِّ الَّذي يقترحُ البحثُ تسـميتَهُ بالنَّصِّ الخبريِّ الحواريِّ، ويعرِّفُهُ بأنَّهُ: نصٌّ سـرديٌّ يُبنى أسـلوبيّاً على أساسِ التَّفكُّكِ الأيديولوجيِّ للُّغة.

يَفترضُ التَّعريفُ المقترَحُ موقفاً أيديولوجيّاً لمبدعِ النَّصِّ الخبريِّ الحواريِّ قوامُهُ الانفتاحُ الفكريُّ على الآخرِ[1] بهدفِ تطويرِ الفكرِ الإنســـانيِّ. فالفكرُ، كما يؤكِّدُ باختينُ، ذو طبيعةٍ حواريَّةٍ، والفكرةُ تتشـكَّلُ وتتطوَّرُ حينما تدخلُ في علاقةٍ حواريَّةٍ جوهريَّةٍ مع فكرةِ الآخرِ[2]. وقد سَبَقَ تنبُّهُ العربِ على الطَّبيعة الحواريَّةِ للفكرِ الإنسـانيِّ، فيقولُ أيُّوبُ السَّخْتِيانيُّ (ت 131هـ) مؤكِّداً أهميَّةَ حوارِ الاتِّجاهاتِ الفكريَّةِ الَّتي تشـكَّلَتْ في عصـرِ بني أميَّةَ إثرَ اختلافِ الفقهاءِ في الأصلِ المُعتَمَدِ في الفتوى: "لا يعرفُ الرَّجلُ خطأَ معلّمِهِ حتى يسمعَ الاختلافَ"[3]. ويقولُ عثمانُ بنُ مِقْسَمِ البُرِّيِّ (ت 163 هـ) لمَنْ سألَهُ أنْ يدلَّهُ على بابِ الفقه: "اسمعِ الاختلافَ"[4]. فينتظمُ القولين معنى واحدٌ قوامهُ تأكيدُ التَّوجُّهِ الحواريِّ نحو الآخرِ المختلفِ أســـاســـاً لإنتاجِ الأفكارِ وتطويرها. وقد شـكَّلَتْ متونُ أخبارِ صـدرِ الإسـلامِ وعصـرِ بني أميَّةَ ببنائها الحواريِّ

---

[1] يتأسَّسُ مفهوم "الآخر" على مفهوم "الجوهر"؛ أي أنَّ ثمَّة سمة أساسيَّة جوهريَّة تحدِّد "الذَّات" ما يجعل الآخر" مختلفاً عنها، ومن ثمَّ لا ينتمي إلى نظامها. ينظر: دليل النَّاقد الأدبيّ، ص22.

[2] شعرية دوستويفسكي، ص124.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، تح وشرح: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط7، 1998م، ج2 / ص98.

[4] المصدر نفسه، ج2 / ص98.

ميادينَ لإنتاجِ الأفكارِ الَّتي أسـهمَتْ في تشـكيل النُّظُمِ الفكريَّةِ لمختلفِ الاتِّجاهات الأيديولوجيَّة في المجتمع الإسلامي كما سيُبيِّن تحليلُ الخبرِ الحواريِّ الآتي[1]:

"قال رجلٌ لمعاويةَ: والله لقد بايعتُكَ وأنا كاره.

فقال معاويةُ: قد جعل الله في الكُرهِ خيراً كثيراً."

تهيمنُ العلاقاتُ الحواريَّةُ على المشــهدِ الخبريِّ السَّــابقِ، فيُشــكِّلُ خطابُ الشَّــخصــيَّةِ الخبريَّةِ في علاقتهِ بالرَّاوي ثنائيَّةً صوتيَّةً ذاتَ صفةٍ حواريَّةٍ داخليَّةٍ ناجمةٍ عن ارتباطِها بعمليَّةِ التَّفكُّكِ اللُّغويِّ؛ فثنائيَّةُ صــوتِ الرَّاوي / صــوتِ الرجل ترتبطُ في عمقِ المشــهدِ بثنائيَّةِ صــوتِ المبدعِ / صــوت المحكوم. وعلى نحوٍ مشــابهٍ ترتبطُ ثنائيَّةُ صــوتِ الرَّاوي / صــوتِ معاويةَ بثنائيَّةِ صوتِ المبدعِ / صوتِ الحاكم، فلا يعبِّرُ خطابُ الرجل عن موقفِ الرَّاوي الفكريِّ تجاهَ موضــوعِ خلافةِ معاويةَ، بل يعبِّرُ عن موقفِ المحكوم المعارض نظام الحكم القائم. وعلى نحوٍ مماثلٍ يعبِّرُ خطابُ معاويةَ عن موقفِ الحاكمِ المؤسِّـــسِ الذي يعي كيف يُحافظ على حكمه فيرى ضرورةَ استعادةِ الأصوات المعارضة. فالشخصيَّتان الخبريَّتان مستقلَّتان فكريَّاً عن الرَّاوي تمتلكان منطقَهما الخاصَّ بهما المحيلَ على انتمائِهما الأيديولوجيِّ.

يدخلُ خطابا الشَّــخصــيَّتَيْن الخبريَّتَيْن في حوارٍ أيديولوجيٍّ يعبِّرُ الرَّاوي من خلاله عن مقصديَّتهِ المتمثِّلةِ في وجوبِ اعتماد المرونة السِّياسيَّة وسيلةً لضمان استمراريَّة النِّظام الحاكم.

وإذ يخرجُ خطابا الشَّــخصــيَّتَيْن الخبريَّتين في الأثرِ المُنجَزِ عن ســلطتَيْ الرَّاوي القوليَّةِ، والفكريَّةِ، لا يخرجان عن أســلوبهِ الفنِّيِّ القائمِ على إشــراكِ اللُّغاتِ الأيديولوجيَّةِ (المســتويات الخِطابيَّةِ) في التعبير عن مقصــديَّتهِ بهدفِ حَرْفِ[2]لغتهِ الخاصَّــةِ، لتصــبحَ لغةُ نصِّــه لغاتٍ

---

[1] المبرِّد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تح: عبد الحميد هنداوي، المملكة العربية الســعودية، وزارة الشــؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، د ت، ج1 / ص381.

[2] الانحراف، أو الانكسار refraction: هو انحراف مقاصد الكاتب؛ جرَّاء مرورها في منطقة تنتمي لغيره، مثلما ينكسر شــعاع الضّــوء حينما يمرُّ من الزُّجاج أو الماء. عناني، محمد، المصــطلحات الأدبيَّة الحديثة، دراســة، ومعجم إنكليزي – عربي، لونجمان، الشــركة المصــرية العالمية للنشــر، ط3، 2003م. ص89. ويقول محمد برَّادة في تعريفه: يلجأ الرِّوائيُّ إلى عدَّةِ وسائلَ لتكسير لغته، وحَرْفها حتى لا تبدو مباشرة، أو أحاديَّة، ومن ثمَّ فإنَّ التَّعدُّدَ اللغويَّ والشَّكليَّ يحقِّقُ انكسار

تقترنُ فيما بينها، وفيما بينها وبين الرَّاوي بعلاقاتٍ منطقيَّةٍ تتطوَّرُ إلى مستوى حواراتٍ جوهريَّةٍ من شأنِها إنتاجُ الأفكارِ وتطويرها في نصِّ الخبرِ، ففكرةُ استعادة الأصواتِ المعارضة لم تنشأ في وعي الحاكم المنعزلِ والمنغلقِ على ذاته، بل تولَّدَتْ إثرَ دخولِه في حوارٍ مع وعي المحكوم. وفكرةُ وجوبِ اعتماد المرونة السياسية وسيلةً لضمان استمراريَّةِ النظام الحاكم لم تتشكَّلْ في وعي المبدعِ المتجاوزِ واقعَ التَّعدُّدِ اللُّغويِّ الأيديولوجيِّ، بل تشكَّلَتْ إثرَ انفتاحِهِ الحواريِّ عليه. ومن ثمَّ يمكنُ تعريفُ الفكرةِ بحسبِ نمطِ إنتاجِها في نصِّ الخبرِ حواريِّ التَّوجُّهِ بأنها فكرةٌ متولِّدةٌ من حوارها الجوهري مع فكرةِ الآخرِ المساوي على مستوى فعلِ التَّعبيرِ، والمختلفِ على مستوى الانتماء الأيديولوجيِّ.

تبرزُ هنا خصوصيَّةُ النَّصِّ الحواريِّ في تقديمِ الفكرةِ؛ إذ يتَّخذُ تقديمُها نمطاً مضادَّاً في النَّصِّ أحاديِّ اللُّغة (المونولوجيِّ)، حيث تُخمَدُ[1] الحواريَّةُ اللُّغويَّةُ في النَّصِّ المذكورِ، ليتأسَّسَ على فكرةٍ تُقدَّمُ بلغةٍ مضادَّةٍ للتعدُّدِ اللُّغويِّ الاجتماعيِّ

كما سيُبيِّنُ تحليلُ النَّصِّ الآتي:

يقولُ إسماعيلُ بنُ يسارِ النَّسَائيِّ[2] (ت 130هـ):

نوايا الكاتب، كما يضمن ثنائيَّةَ الصوت للنَّصِّ الرِّوائيِّ. باختين، ميخائيل، الخطاب الروائي، تر: محمد برَّادة، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1987م، ص29.

[1] جاء في كتاب المصطلحات الأدبيَّة الحديثة، ص90: التَّخميد، أو التَّسكين hypostatization: تحويل أي عمليّة ديناميَّة إلى شيء خامد، أو ساكن. ولم أجد كلمة (التَّخميد) في مادة (خمد) في معاجم اللغة، من قبيل:

- ابن منظور الإفريقي المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، دت.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام سرحان، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الزَّبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد العزيز مطر، مراجعة: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1994م.

لذا يقترح البحث إبدالها بكلمة (إخماد).

[2] بكار، يوسف حسين، شعر إسماعيل بن يسار، بيروت، دار الأندلس، ط1، 1984، ص29.

رُبَّ خـــالٍ مـــتـــوَّجٍ لـــي وعَـــمٍّ ماجدٍ مُجْتَدى كريمِ النِّصـــــابِ[1]
إنَّـمـا سُـــــمِّـيَ الـفـوارسُ بـالـفُـر سِ مضـــــاهـاةَ رِفعـةِ الأنســـــابِ
فـاتركي الفخرَ يـا أُمـامُ علينـا واتركي الجَوْرَ وانطقي بـالصَّـــوابِ
واســـــألي إنْ جهلْـتِ عنـا وعنكم كيفَ كنَّـا في ســـــالفِ الأحقـابِ
إذ نـربِّـــي بـنـاتِـنـا وتَـدُسُّـــــو نَ سَـــفَـاهـاً بنـاتِكم في الترابِ

يسعى منشِئُ النَّصِّ السَّابقِ إلى تقريرِ فكرةِ تفوُّقِ الفرسِ على العربِ حضارياً، فيتأسَّسُ المنجزُ النَّصـيُّ على ثنائيَّةٍ ميتافيزيقيَّةٍ تُعلي شـأنَ الطَّرفِ الأوَّلِ (الذَّاتِ)، وتُلقي بالدُّونيَّةِ على الطَّرفِ الثاني (الآخرِ). فلا يحضرُ خطابُ الآخرِ في النَّصِّ بوصفِهِ خطاباً مستقلّاً يقفُ على السَّـويَّةِ مع خطابِ الذَّاتِ، بل يخضـــعُ لوجهةِ نظرِ الذَّاتِ، فلا يُحاورُ خطابُ الذَّاتِ خطابَ الآخر في نصِّ النَّسائيِّ أحاديِّ اللُّغةِ، بل يدحضُـهُ عبرَ بناءِ أقيسـةٍ تدفعُ المتلقِّي للتَّوصُّلِ إلى النَّتيجةِ الَّتي يرومُها منشـــئُ النَّصِّ. فتتَّخذُ العلاقةُ الرَّابطةُ بين حَدَّيْ ثنائيَّةِ خطابِ الذاتِ / خطابِ الآخرِ نمطَ تقابلٍ ثنائيٍّ استبعاديٍّ في نصِّ النَّسائيِّ أحاديِّ الأيديولوجيا، في حين تتَّخذُ نمطَ حوارٍ فكريٍّ بين مســـتويين خِطابيَّيْن في نصِّ الخبرِ متعدِّدِ الأيديولوجيات. وعليه: يتَّخذُ التَّعدّد اللُّغويُّ في نصِّ النَّســـائيِّ مظهراً شـــكليّاً؛ إذ لا يتنزَّلُ خطابُ الآخرِ منزلةَ المحاورِ المكافئ لخطابِ الذَّات، بل يخضعُ لمنظورِ الذَّات، فتهيمنُ الرُّؤيةُ الأحاديَّةُ.

ينتهجُ النَّصَّـان السَّـابقان أسـلوبين مختلفَيْن تبعاً لاختلافِ انتمائِهما الأجناسـيِّ، فيَحرِفُ الراوي لغتَه الخاصَّـــةَ؛ ليُعبِّرَ عن موضـــوعِه على نحوٍ غيرِ مباشـــرٍ عبرَ حوارِ خطابَيْ الشَّـخصـيَّتَيْن الخبريَّتَيْن النَّاجم عن حوارِ وجهتَيْ نظر لغويَّتَيْن اجتماعيَّتَيْن، فيتأسَّـسُ النَّصُّ على لغةٍ مفكَّكةٍ تنبذُ اليقينَ، وتفتحُ الأثرَ المنجزَ على تعدُّديَّةِ المســـتويات الخِطابيَّةِ المرتبطةِ بتعدُّدِ التَّصـوُّراتِ الاجتماعيةِ حولَ الموضـوع. في حين يعبِّرُ الشَّـاعرُ بلغتهِ الخاصـةِ وبطريقةٍ مباشرة عن موضوعه، فيتأسَّسُ النَّصُّ على لغةٍ واحدةٍ تتَّخذُ صفةَ اليقينيَّةِ.

[1] النصاب: الأصل.

ويمكنُ توضيحُ الفروقِ الأسلوبيَّة الأساسيَّةِ بينَ النَّصِّ الخبريِّ الحواريِّ، والنَّصِّ الشِّعريِّ المونولوجيِّ على النحو الآتي:

-يُبنى النَّصُّ الخبريُّ متعدِّدُ اللُّغاتِ على أساسِ تفكُّكِ وحدةِ نظامه اللُّغويِّ؛ إذ يُمنَحُ الآخرُ المنتمي إلى نظامٍ فكريٍّ يغايرُ انتماءَ منتج النَّصِّ حريَّةً نسبيَّةً؛ للتَّعبيرِ عن وجهةِ نظرِهِ الأيديولوجيَّةِ، فيُفكِّكُ خطابُه وحدةَ النِّظامِ اللُّغويِّ للنَّصِّ، ويدخلُ في علاقةِ حوارٍ تفاعليٍّ مع منتجِ النَّصِّ ومع الخطاباتِ الأُخَرِ المكوِّنةِ المشهدِ السَّرديِّ في المنجزِ النَّصيِّ، ويُعرَضُ الموضوعُ الخبريُّ غيرَ منفصلٍ عن وجهاتِ النَّظرِ الأيديولوجيَّةِ المتباينةِ تجاهه. -يتَّخذُ الوعيُ اللُّغويُّ بانفتاحِه على تعدُّديَّةِ المستوياتِ الخِطابيَّةِ صفةَ النِّسبيِّ. -يعبِّرُ النَّصُّ الخبريُّ الحواريُّ عن فكرٍ موضوعيٍّ ينظرُ إلى القضيَّةِ قيد النِّقاش من جهتها	-يُبنى النَّصُّ الشِّعريُّ أحاديُّ اللُّغةِ على أساس وحدةِ نظامِه اللغويِّ، فيقف خطابُ الآخرِ المختلفِ أمامَ أحدِ احتمالين: -فإمَّا أن يتمَّ إقصاؤُه، فيُعرضُ الموضوعُ الشعريُّ من خلال وجهة نظر أحاديَّة تتجاوزُ وجهاتِ النَّظرِ الأيديولوجيَّةِ المتعدِّدةِ حولَه. كقولِ الأخطلِ في مدحِ ولدَيْ معاويةَ بنِ أبي سفيان[1]: تمَّتْ جدودُهم، واللهُ فضَّلَهم وجدُّ قومٍ سواهم خاملٌ نَكِدُ ويومَ صفِّينَ والأبصارُ خاشعةٌ أمدَّهم، إذ دعَوا، من ربهم مَددُ وأنتم أهلُ بيتٍ لا يوازنهم بيتٌ إذا عُدَّتِ الأحسابُ والعددُ وإمّا أن يتمَّ استحضارُه من دون أن يفكِّكَ وحدةَ النِّظامِ اللُّغويِّ للنص؛ إذ لا يخرجُ عن وعي منتجِ النَّصِّ كما هو الشَّأنُ في نصِّ النَّسائي آنفِ الذِّكر. -يتَّخذُ الوعي اللُّغويُّ باكتفائِه بنفسه صفةَ المطلق؛ لاستقلاله عن التعدُّديَّةِ اللُّغويَّةِ. -يعبِّرُ النَّصُّ الشِّعريُّ المونولوجيُّ عن فكرٍ ذاتيٍّ ينظرُ إلى القضيَّةِ قيدِ النِّقاشِ من جهته الذاتيَّة، لا من جهتها الموضوعيَّة.

[1] الأخطل، الديوان، شرحه وصنَّف قوافيه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1994م، ص90-91.

الموضـــوعيَّـة، لا من جهتـه الذاتيَّة. -تتَّســـعُ الآفاقُ الفكريَّةُ للنَّصِّ؛ جرَّاءَ معالجةِ الموضـوعِ من زوايا نظر لغويَّة اجتماعيَّة متعدِّدة. -يحقِّقُ التَّأثيرُ المتبادلُ بين وجهاتِ النَّظرِ اللُّغويَّـةِ الاجتمـاعيَّـةِ إنتاجيَّةَ النَّصِّ؛ إذ يحثُّ المتلقِّي على بـذلِ جهـدٍ اســـتـدلاليٍّ؛ لاســـتنباطِ المعاني المتولِّدةِ من حوارِ الأيديولوجيَّات.	-يضـــيقُ الأفقُ الفكريُّ للنَّصِّ؛ جرَّاءَ اعتمادِ بعدٍ واحدٍ في معالجة الموضوع. -يعمدُ الشَّـاعرُ إلى أسـاليبَ بلاغيَّةٍ[1] تُنتجُ أبعاداً دلالية تحقِّقُ إنتاجيَّةَ النَّصِّ.

لا تقتصرُ أحاديَّةُ النِّظامِ اللُّغويِّ على الجنسِ الشِّعريِّ في العصرِ الإسلاميِّ فحسب، بل هي ميزةُ الشعر والنثر بعامَّة منذُ عصرِ الجاهليَّةِ. ويشكِّلُ نظامُ التَّعدُّديَّةِ اللُّغويَّةِ الَّذي رصدتْهُ الدِّراسـةُ في مجموعةٍ محدَّدةٍ من أخبارِ صـدرِ الإسـلامِ وعصـرِ بني أميَّةَ جديداً على مسـتوى النِّظامِ اللُّغويِّ للنَّصِّ الأدبيِّ أُحدِثَ بفعلِ الانتقالِ الحضـــاريِّ من الجاهليَّةِ إلى الإســـلامِ؛ إذ يرتبطُ بانقسامِ المجتمعِ الإسلاميِّ إلى طبقاتٍ أيديولوجيَّةٍ متعدِّدةٍ. وهو ما لم يقفْ عليه أحدٌ من النُّقَّادِ الَّذين وجَّهوا عنايتَهم نحو الجديدِ الَّذي أحدثَهُ الانتقالُ المذكورُ على مســـتويَيْ شـــكلِ النُّصوصِ الأدبيَّةِ ومضمونِها فحسب.

إنَّ الحديثَ عن مجموعةٍ من الأخبارِ تنتظمُها خصـــائصُ أســـلوبيَّةٌ تَميْزُها من نظائِرها يقودُ للحديثِ عن أنواعٍ فرعيَّةٍ داخليَّةٍ يتشـــعَّبُ إليها الخبر الأدبي. وفي تفصـــيلِ ذلك يمكنُ القولُ:

---

[1] للوقوف على الأبعاد البلاغية في البائية، ينظر: الديوب، سمر، الحجاج في بائية إسماعيل بن يسار النسائي، مجلة فصل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد12، 2016م، ص7 وما بعدها.

تشـتركُ أخبارُ العصـرِ الإسـلاميِّ في أسـاسِـها البنائيِّ المتمثِّلِ في هيمنةِ الأسـلوبِ المشـهديِّ القائمِ على نقلِ أقوالِ الشَّـخصـيَّاتِ الخبريَّةِ بطريقةِ الخطابِ المباشـرِ المُفضـي إلى خلقِ وهمِ التَّمثيلِ. ما يدفعُ للحديثِ عمَّا يُسـمَّى في السَّـرديَّاتِ التَّلفُّظيَّةِ بالامِّحاءِ التَّلفُّظيِّ. وإذ يسـعى الراوي إلى الامِّحاءِ من نصِّـه، تبقى شـخصـيَّتُهُ بارزةً في النُّصـوصِ الخبريَّةِ الخاضـعةِ لرؤيةٍ أحاديَّةِ البعدِ؛ إذ إنَّ خطابَ الشـخصـيَّةِ الخبريَّةِ وإنْ خرجَ عن سـلطتِهِ القوليَّةِ، لا يخرجُ عن سـلطتهِ الأيديولوجيَّة، خلافاً للنَّصِّ الخبريِّ الحواريِّ الَّذي يختفي فيه الرَّاوي من فعل التَّلفُّظ حيثُ يحقِّقُ خطابُ الشَّخصيَّةِ الخبريَّةِ استقلالاً على المستويين التَّركيبيِّ والأيديولوجيِّ.

وإذ ينطلقُ البحثُ من أنَّ الأدبَ ليس ركاماً من النُّصـــوصِ المفردةِ، بل مجموعَ ما بينها من علاقات، يقترحُ تصنيفاً أجناسيّاً يقسمُ النَّصَّ الخبريَّ إلى نوعين خبريين فرعيَّين:

5. النَّصِّ الخبريِّ المونولوجيِّ.
6. والنَّصِّ الخبريِّ الحواريِّ.

معتمداً مقياسَ: علاقةِ الرَّاوي بالشَّـخصـيَّة الخبريَّة، فيربطُ النَّصَّ المونولوجيَّ بتراتبيَّةِ مسـتوياتِ الوعي، ويُحدِّدُ النَّصَّ الحواريَّ بتكافؤ مستويات الوعي؛ فتتأسَّسُ العلاقةُ بين الراوي وشخصـيَّاتِهِ في النَّصِّ المونولوجيِّ على ما يقترحُ البحثُ تسـميتَه بالتَّبعيَّةِ الفكريَّة، ويعرِّفُها بأنَّها أسـلوبٌ يَمِيْزُ خطابَ الشَّـخصـيَّةِ الخبريَّةِ في النَّصِّ الخبريِّ أحاديِّ الأيديولوجيا، فلا يخرجُ عن سـلطةِ منشـئ النَّصِّ الأيديولوجيَّة، ليَبْقَى في دائرتَيْ القبولِ أو الرفض. في حين تتأسَّـسُ العلاقةُ بين الراوي وشـخصـياته في النَّصِّ الحواريِّ على ما يقترحُ البحثُ تسـميتَهُ بالاسـتقلاليَّةِ الفكريَّةِ، ويعرِّفها بأنَّها أسلوبٌ يميزُ خطابَ الشَّخصيَّةِ الخبريَّةِ في النَّصِّ الخبريِّ متعدِّدِ الأيديولوجيات؛ إذ يخرجُ عن سلطةِ منشئ النَّصِّ الأيديولوجيَّة، فتنطقُ الشَّخصيَّةُ بلغتِها المحيلةِ على انتمائِها الأيديولوجيِّ، لا بلغةِ منشـئ النَّصِّ، فتسـتقلُّ فكريّاً مشـكِّلةً عاملَ تفكيكٍ لغويٍّ ينقلُ لغةَ النَّصِّ

من المطلق إلى النِّسبيِّ. ويمكنُ توضيحُ نمطَيْ العلاقةِ المذكورين عبرَ المقارنةِ بين النَّصِّ الخبريِّ الحواريِّ ممثَّلاً بِنَصِّ معاوية والرَّجلِ، ونظيره المونولوجيِّ ممثَّلاً بالخبر الآتي[1]:

"لما ماتَ عبدُ الملكِ بنُ مروانَ، اجتمعَ ولدهُ حولَه، فبكى هشام حتى اختلفت أضلاعه، ثم قال:

رحمَك اللهُ يا أميرَ المؤمنين، فأنت، واللهِ، كما قال عبدةُ بنُ الطَّبيب:

وما كان قيسٌ هلكُهُ هلكُ واحدٍ ولكنَّه بُنيانُ قومٍ تهدَّما[2]

فقالَ له الوليدُ: كذبْتَ يا أحول، يا مشؤوم، لسنا كذلك، ولكنا كما قال الآخر:

إذا مُقْرَمٌ مِنَّا ذَرا حَدُّ نابِهِ تَخَمَّطَ فينا نابُ آخَرَ مُقْرَمِ[3]"

---

[1] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، تح: إحسان عباس، إبراهيم السعافين، بكر عباس، بيروت، دار صادر، ط3، 2008م، ج14 / ص53-54.

[2] يُنظر: ابن الطبيب، عبدة، شعره، تح: يحيى الجبوري، بغداد، دار التربية، 1973م. ص88. وفيه: فما كان قيس ..

[3] البيت لأوس بن حجر، الديوان، تح: محمد يوسف نجم، بيروت، دار صادر، ط3، 1979م. ص122. وفيه: وإن مُقْرم منّا .... وذرا نابهُ ذرواً: انكسر حدُّه. اللسان (ذرا). والتَّخمُّط: الأخذ والقهر بغلبة. اللسان (خمط). والمُقْرَم هو البعير المُكْرَم الذي لا يحمل عليه، ولا يذلل. وإنما سُمِّي السيِّد الرئيسُ من الرجال المُقْرَم؛ لأنه شبه بالمقرم من الإبل لِعظَم شأنه وكرمه عندهم. يريد أوس: إذا هلك منا سيد خلفه آخر. ينظر: اللسان (قرم).

يُشكِّلُ الخبرُ الحواريُّ نوعاً خبريّاً داخليّاً يتفرَّعُ إليه الخبرُ الأدبيُّ يتأسَّسُ على تفكُّكِ لغتِه بوساطةِ خطاباتِ الشَّخصيَّاتِ الخبريَّةِ التي يمنحُها الرَّاوي حريَّةً نسبيَّةً للتَّعبيرِ عن مواقِفها

النَّصُّ الخبريُّ متعدِّدُ اللغات (نصُّ معاوية والرَّجل)	النَّصُّ الخبريُّ أحاديُّ اللُّغة (نصُّ الوليدِ وسليمانَ)
-يتأسَّسُ المشهدُ الخبريُّ على حوارٍ بين شخصيَّتين خبريَّتين يُبرزُ الراوي مقصديَّتَهُ على نحوٍ غيرِ مباشرٍ عبرَ تفاعُلِهما القوليِّ، فلا يوجِّهُ المتلقِّي إلى خطابِ شخصيَّةٍ من دون آخر(1)؛ لاستناده إلى مبدأ التَّعدُّديَّةِ الأيديولوجيَّة في تشكيل نصِّه، فيتمُّ تطويرُ الأفكار عبر حوارِ الأيديولوجيات التفاعلي على النحو الذي تبيَّن سابقاً. -الحوار في المشهد فكريٌّ تفاعليٌّ يُحدثُ تأثيراً متبادلاً يحقّق إنتاجيّة النَّصِّ.	-يتأسَّسُ المشهدُ الخبريُّ على حوارٍ بين شخصيَّتين خبريَّتين يُبرزُ الرَّاوي مقصديَّته على نحوٍ مباشرٍ عبر إحداهما موجِّهاً المتلقي للاعتقاد بما تقوله. فيتمُّ تطوير الأفق المعرفي للمشهد الخبري عبر حوارٍ منطقيٍّ خاضعٍ لرؤيةٍ أحاديَّة البعد، فتتخذ الأفكار طابعين: • طابع أفكارٍ غيرِ صائبةٍ تتمثَّلُ في خطابِ سليمانَ، يتمُّ دحضُها في النَّصِّ. • وطابع أفكارٍ صائبةٍ تتمثَّلُ في خطابِ الوليدِ، يتمُّ تأكيدُها بأسلوبٍ لغويٍّ يعتمدُ عطفَ النَّسقِ باستعمالِ حرفِ العطف (لكن)؛ ليدلَّ على تقرير حكمِ ما قبلها، وإثبات ضدِّهِ لما بعدها. فيُبنى النَّصُّ على أساسِ الأحاديَّةِ الأيديولوجيَّة؛ إذ يعمدُ منشِئُهُ إلى توجيه القراءة التأويليَّة، وفرض رؤيته الخاصَّة عبرَ هيمنة خطاب شخصيَّة محدَّدة يحمِّلُها موقفه الفكري. -الحوارُ في المشهدِ منطقي يعتمد الاستدعاء المكثَّف للنَّصِّ الشِّعريِّ بما يحقِّقُ إنتاجيَّة النَّصِّ.

(1) تؤكد الدكتورة سمر الديوب أنَّ الحوارية لدى باختين نشاطٌ تفاعلي يتمُّ بين أصوات وخطابات متنوعة الأشكال والمقاصد، متساوية القيمة. النص العابر، دراسات في الأدب العربي القديم، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، 2014م، ص202.

الفكريَّةِ إزاء العالم، لتنتقلَ لغةُ المُنْجَزِ النَّصِّيِّ من مستوى المطلقِ إلى مستوى النِّسبيِّ، فيُعرضُ الموضـــوعُ الخبريُّ من زوايا نظرٍ لغويَّةٍ اجتماعيَّةٍ متعدِّدة، لا من زاويةٍ أحاديَّةٍ تمثِّلُ رؤيةَ منتجِ النَّصِّ.

وإذ يقترحُ البحثُ إدراجَ الأخبارِ الحواريَّةِ في نوعٍ خبريٍّ فرعيٍّ، يؤسِّسُ استراتيجيَّةَ القراءةِ الحواريَّةِ للنَّصِّ الخبريِّ على قاعدتين أساسيَّتين:

7. تُعنى القاعدةُ الأولى بالكشـــفِ عن اللغاتِ الأيديولوجيَّةِ الاجتماعيَّةِ التي يُشـــركها الرَّاوي في التَّعبير عن مقصـــديَّتِهِ. وتتمُّ عمليَّةُ الكشـــفِ المذكورةِ عبرَ إعادةِ إدراكِ خطابات الشَّخصيَّاتِ الخبريَّة في ضوءِ ربطِها بعمليَّةِ التَّفكُّكِ اللغويِّ.
8. وتُعنى القاعدةُ الثَّانيةُ بتحديدِ نمطِ العلاقةِ الحواريَّةِ الرَّابطةِ بينَ اللغاتِ الأيديولوجيَّةِ؛ إذ تتَّخذُ أنماطاً متعدِّدةً تتمثَّلُ في التَّهجين، والإنارةِ الحواريَّةِ الدَّاخليَّةِ المتبادلةِ بين اللغات، والحواراتِ الخالصةِ تهدفُ في مجملِها إلى بناءِ صورةٍ فنِّيَّةٍ لِلُغةِ الآخر.

تُشـــكِّلُ القاعدتان السَّـــابقتان مدخلاً أســـاســـيَّاً لمعرفةِ طريقةِ التَّعاملِ مع النَّصِّ الخبريِّ الحواريِّ لجلاءِ مقاصدِه، وفنيَّاتِه.

وإذ تمَّ تخصـيصُ هذا المحور للوقوفِ على آليَّةِ التَّفكُّكِ الأيديولوجيِّ لِلُغةِ النَّصِّ الخبريِّ حواريِّ التَّوجُّـهِ، خُصِّـــصَ المحور الثَّاني للوقوفِ على العلاقةِ الحواريَّـةِ النَّاجمـةِ عن عمليَّـةِ التَّفكُّكِ المذكورة بهدفِ تحديدِ ماهيَّتِها، وخاصِّيَّتِها، وأنماطِها.

ثانياً: الحواريَّةُ اللُّغويَّةُ في المشهدِ الخبريِّ: (ماهيَّتُها – خاصيَّتُها – أنماطُها)

ماهيَّةُ العلاقةِ الحواريَّةِ:

يُعنى البحثُ في هذا المحور برصد المسار المفضي إلى نشوء علاقة حواريَّة بين خطابين في مشهدٍ خبريٍّ منطلقاً من النَّتيجة: تتأسَّسُ العلاقةُ الحواريَّة على علاقة منطقيَّة تربط موقفين فكريَّين، إلى المبادئ الَّتي تأسَّست عليها على وفق عمليَّةِ استدلالٍ بعديٍّ ينطلقُ من النتائج إلى المبادئ.

ويمكنُ تمثيلُ حركةِ البحثِ الإجماليَّة في هذا المحور بالخطاطة الآتية:

النَّتيجة

تتأسَّس العلاقةُ الحواريَّةُ على علاقةٍ منطقيَّةٍ تربطُ موقفين فكريَّين

↓

المبادئ

العلاقةُ الحواريَّةُ منطقيَّةٌ

↓

كلُّ علاقةٍ حواريَّةٍ منطقيةٌ

↓

ليستْ كلُّ علاقةٍ منطقيَّةٍ حواريَّةً

↓

تتطوَّرُ العلاقةُ المنطقيَّةُ إلى مستوى علاقة حواريَّة إذا مَثَّلَ حدَّاها خطابَيْن فرديَّيْن متمايزين مرتبطين بموقفين أيديولوجيَّين

تتأسَّسُ العلاقةُ الحواريَّةُ على علاقة منطقيَّة تربط مستويين خِطابيَّيْن. فالعلاقةُ المنطقيَّةُ علَّةٌ محدِّدةٌ تضطلع بتسويغٍ قبليٍّ لسبب ظهور العلاقة الحواريَّة[1]. ومن ثمَّ يمكنُ صوغُ الحكم الحَمْليِّ الآتي:

العلاقةُ الحواريَّةُ منطقيَّةٌ

يمكنُ تفكيكُ الحكمِ المذكورِ على النَّحو الآتي:

[العلاقةُ الحواريَّةُ] [منطقيَّةٌ]

فالحكمُ ثنائيٌّ مشتملٌ على حدَّين:

الحدّ الأوَّل: موضوع الحكم [العلاقةُ الحواريَّةُ].
الحدّ الثَّاني: محمول الحكم [منطقيَّة].

والعلاقةُ بينَ الحدَّين غيرُ قابلةٍ للإبدال. وعليه يمكنُ صـــوغُ القضـــيَّةِ الكليَّةِ الموجبةِ الآتية:

كلُّ علاقةٍ حواريَّةٍ منطقيَّةٌ.

وعلى نحوٍ مضادٍّ يمكنُ صوغُ القضيَّةِ الجزئيَّةِ السَّالبةِ الآتية:

ليستْ كلُّ علاقةٍ منطقيَّةٍ حواريَّةً.

يَفترضُ تطوُّرُ العلاقةِ المنطقيَّةِ إلى مستوى علاقة حواريَّة ارتباطَ حَدَّيْها بخطابين فرديَّين يمثلان لغتين أيديولوجيَّتين متباينتين.

وبالوقوفِ على المشـاهدِ السَّـرديَّة في النوعين الخبريَّين الفرعيَّين المُقترَحَيْن في المحور السَّابِق، يتبيَّنُ تطوُّرُ العلاقةِ المنطقيَّةِ في مجالَيْ علاقةِ الرَّاوي بالشَّخصيَّةِ، وعلاقةِ الشَّخصيَّةِ

[1] يقول باختين: لا تقتصـــر العلاقات الحواريَّة على العلاقات المنطقيَّة ذات المعنى الملموس والمحدَّد التي تفتقر بذاتها إلى اللحظة الحوارية. إنها يجب أن تكتسي باللفظة، وأن تصبح مواقف معبَّراً عنها بالكلمة، تخصُّ مختلف الأشخاص من أجل أن تتوفر الإمكانية لظهور علاقات حواريَّة بين هؤلاء الأشخاص. شعريَّة دوستويفسكي، ص267-268.

بالشَّخصيَّةِ إلى مستوى علاقة حواريَّة في النَّصِّ الخبريِّ الحواريِّ، ووقوفُها عند مستوى الرَّبطِ المنطقيِّ في النَّصِّ الخبريِّ المونولوجيِّ. ما دفعَ البحثَ لاقتراحِ تسميتَيْن تعبِّران عن نمطين متضادَّيْن تتَّخذُهما العلاقة المنطقيَّة الرَّابطة بين خطابين في مشهدٍ خبريٍّ:

9. نمطٍ سكونيٍّ تثبتُ فيه العلاقةُ المنطقيَّةُ عندَ مستوى الرَّبطِ المنطقيِّ، وهو النَّمطُ الَّذي تتَّخذُه العلاقةُ المنطقيَّةُ في النَّصِّ الخبريِّ المونولوجيِّ.
10. نمطٍ حراكيٍّ تتطوَّرُ فيه العلاقةُ المنطقيَّةُ إلى مستوى حوارٍ فكريٍّ تفاعليٍّ بينَ وجهتَيْ نظر لغويَّتين اجتماعيَّتين. وهو النَّمطُ الَّذي تتَّخذه العلاقةُ المنطقيَّة في النَّصِّ الخبريِّ الحواريِّ. ويمكنُ وصفُ العلاقتَيْن: المنطقيَّةِ، والحواريَّةِ في هذا النَّمطِ بالعلاقتين: القبليَّةِ، والبعديَّةِ، تبعاً للأسبقيَّةِ المنطقيَّة.

يمكنُ توضيحُ نمطَيْ العلاقةِ المنطقيَّةِ المذكورين من خلال المقارنة بين نصَّيْ (سليمانَ والوليد)، و(معاويةَ والرَّجلِ) الواردَيْن في المحور السابق:

ففي مجالِ علاقةِ الرَّاوي بالشَّخصيَّة:

يرتبطُ الرَّاوي مع شخصيَّاتهِ في كلا المشهدين بعلاقةٍ منطقيَّةٍ قوامها التَّكامل، تتَّخذُ في المشهد الخبري المونولوجي نمطاً سكونيَّاً، فتقفُ عند مستوى الرَّبط المنطقي بين خطابِ الراوي وخطاب الشَّخصيَّة غير متطوِّرة إلى مستوى حواري؛ جرَّاءَ خضوعِ الشَّخصيَّةِ لهيمنةِ الرَّاوي الفكريَّة. في حين تتطوَّرُ إلى مستوى حوارٍ فكريٍّ تفاعليٍّ في المشهدِ الخبريِّ الحواريِّ؛ جرَّاءَ خروجِ الشَّخصيَّةِ عن وعي الرَّاوي لتعبِّرَ عن رؤيتِها الخاصَّة إزاءَ العالم.

وفي مجالِ علاقةِ الشَّخصيَّة بالشَّخصيَّة في الحوار:

يتأسَّسُ النَّمطُ العلائقيُّ في هذا المجال السَّرديِّ على النَّمطِ العلائقيِّ المحدَّدِ في المجال السَّرديِّ السَّابقِ، فاتِّخاذُ العلاقةِ المنطقيَّةِ الجامعةِ بينَ خطابِ الرَّاوي وخطاب الشَّخصيَّة الخبريَّة نمطاً سكونيَّاً يحولُ دون تطوُّر العلاقة المنطقيَّة الرَّابطة بينَ خطابَيْ الشَّخصيَّتين الخبريَّتين إلى مستوى علاقة حواريَّة، فتتَّخذ بدورها نمطاً سكونيَّاً، ويتمُّ تطويرُ الأفكار من

خلال حوارٍ منطقيٍّ خاضـــعٍ لوجهة نظر أحاديَّة. وعلى نحو مضـــاد، يَفترضُ اتِّخاذ العلاقة المنطقيَّة الجامعة بين خطاب الرَّاوي وخطاب الشَّـــخصـــيَّة الخبريَّة نمطاً حِراكيّاً دخولَ الشَّخصيَّتين الخبريَّتين في علاقة حوارية تفاعليَّة، فيتمُّ تطوير الأفكار من خلال حوار تفاعلي حيث تتبادلُ وجهات النَّظر الأيديولوجيَّة عوامل التَّأثير والتَّأثُّر.

ففي النص الخبري المونولوجي السَّـابق، يتأسَّـس المشـهد السـردي على حوار خطابَيْ شـخصـيَّتين خبريَّتين تعبِّران عن موقفيهما من موضـوع موت الخليفة عبد الملك بن مروان. تربط الخطابين المذكورين علاقة منطقيَّة قوامها التَّناقض سكونيَّة النَّمط غير متضـمِّنة تطوراً؛ جرَّاء خضـوع الخطابين لسـلطة الرَّاوي الفكريَّة، فتتمُّ مناقشـةُ موضـوع موت الخليفة من خلال رؤية أحاديَّة، ولغة أحاديَّة؛ إذ يُحمِّلُ الرَّاوي أحد الخطابين مقصـــديَّته، ويدحضُ الآخر موجِّهاً قراءةَ أثرِهِ الفنِّيِّ، لتقفَ علاقةُ التناقض عند مسـتوى الموضـوع غير منتقلة إلى مسـتوى اللُّغة. في حين يُظهرُ مشـــهدُ حوارِ معاوية والرَّجل تطوُّرَ علاقةِ التَّناقض الرَّابطةِ بين خطابَيْ الشَّـخصـيَّتين إلى مسـتوى حوارٍ فكريٍّ بين لغتين؛ إذ يخرجُ الخطابان عن وعي الرَّاوي، ليعبِّرا عن رؤيتين أيديولوجيَّتين متناقضـتين تجاهَ موضـوعِ خلافة معاوية، فتنتقلُ علاقةُ التَّناقض من مستوى الموضوع إلى مستوى اللُّغة متطوِّرة إلى علاقة حواريَّة تفاعليَّة بين مستويين خطابيَّين.

خاصيَّةُ العلاقة الحواريَّة:

تَميزُ الخاصـــيَّةُ التَّبادليَّةُ العلاقةَ الحواريَّةَ الرَّابطةَ بين مســـتويين خطابيَّين في مشـــهد خبري. وتوصفُ العلاقةُ بين طرفين (أ)، و(ب) بالتَّبادليَّةِ حين تعمل – في الوقتِ نفسه – في اتِّجاه (أ) نحو (ب)، وفي اتِّجاه (ب) نحو (أ)[1]. وقد أظهرَ تحليلُ مشـــهدِ معاويةَ والرَّجلِ في المحورِ السَّـــابقِ تبادلَ المســـتوياتِ الخطابيَّةِ المقترنة حواريَّاً عواملَ التَّأثيرِ والتَّأثُّرِ على نحوٍ أسهم في إنتاجِ الأفكارِ وتطويرِها.

[1] ينظر: لالاند، أندريه، موســـوعة لالاند الفلســـفيَّة، تعريب: خليل أحمد خليل، أشـــرف عليه: أحمد عويدات، بيروت، باريس، منشورات عويدات، ط2، 2001م، ص1179.

الأنماط التي تتَّخذها العلاقة الحواريَّة بين مستويَيْن خِطابيَّين في مشهدٍ خبري:

تتَّخذُ العلاقةُ الحواريَّةُ الرَّابطةُ بين لغتَيْن أيديولوجيَّتَيْن في مشهدٍ خبريٍّ أنماطاً تتمثَّلُ في التَّهجين، والإضاءة الحواريَّة الدَّاخليَّة المتبادلة بين اللُّغات، والحوارات الخالصة تهدفُ في مجملها إلى إنشاءِ صورةٍ فنيَّةٍ للُّغة. فللتَّصوير الفنِّيِّ في النَّصِّ الخبريِّ الحواريِّ خصوصيَّتُه؛ إذ يشكِّلُ خطابُ الشَّخصيَّةِ الخبريَّةِ الممثِّلُ لغةً أيديولوجيَّةً مادَّتَه. فصورةُ اللغةِ ههنا صورةُ أفقٍ لغويٍّ أيديولوجيٍّ محدَّد تُبنى بوساطة إحدى الأنماطِ آنفةِ الذِّكر على النحو الذي سيُبيِّنه التحليل الآتي:

1- التَّهجين:

يتأسَّسُ البناءُ اللغويُّ الهجينُ في النَّصِّ الخبريِّ الحواريِّ على حوارٍ داخليٍّ بين لغتين أيديولوجيَّتين إحداهما مصوِّرة، والأخرى مصوَّرة تتقابلان على نحوٍ مباشرٍ في ملفوظِ الشَّخصيَّةِ الخبريَّةِ بهدفِ توضيحِ لغةٍ أيديولوجيَّةٍ بوساطةِ لغةٍ أيديولوجيَّةٍ أخرى[1] على النحو الذي سيبيِّنه تحليل الخبر الحواري الآتي[2]:

"قال علي (ر)، وقد سمع رجلاً يذمُّ الدنيا: أيُّها الذَّامُّ للدنيا المغترُّ بغرورها؛ بمَ تذمُّها؟ أنت المتجرِّمُ عليها، أم هي المتجرِّمة عليك؟ متى استهوتك أم متى غرتك؟ أبمصارع آبائِكَ من البلى، أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟ كم علَّلْتَ بكفَّيْك، وكم مرَّضت بيديك، تبغي لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطباء، لم ينفع أحدَهم إشفاقُك، ولم تُسْعَفْ فيه بِطَلِبَتِك، ولم تدفع عنه بقوتك. قد مَثَّلَتْ لك به الدنيا نفسَكَ، وبمصرعه مصرعَكَ. إن الدُّنيا دارُ صدق لمن صدقها، ودارُ عافيةٍ لمن فهم عنها، ودارُ غنى لمن تزوَّدَ منها، ودارُ موعظةٍ لمن اتَّعظَ بها.."

---

[1] يقول باختين: إنَّ صورة اللغة، بوصفها هُجْنة قصدية، هي ذلك الوعي بلغة من جانب لغة أخرى، إنها النور الذي يلقيه عليها وعي لساني آخر. ويمكن لصورة لغة أن تُبنى فقط من وجهة نظر لغة أخرى مقبولة على أنها بمنزلة معيار. ينظر: الخطاب الروائي. ص120.

[2] ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونيَّة، تح: إحسان عباس، بكر عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 1996م، ج1/ ص73.

يتأسَّـــسُ النَّصُّ السَّـــابقُ على حوارٍ يكوِّنُهُ تدخُّلان، يتَّخذُ التَّدخُّلُ الأوَّلُ نمطَ الخطابِ المرويِّ مُمثَّلاً بخطابِ الرَّجلِ الذَّامِّ الدُّنيا الذي لم ينقلْه الرَّاوي مكتفياً باختزاله في فعل (يذمُّ) ليصـبحَ مندرجاً في سـياق السَّـرد. ويتَّخذُ التَّدخُّلُ الثَّاني نمطَ الخطابِ المباشـر ممثَّلاً بخطابِ عليٍّ الذي ينقلُهُ الرَّاوي بحرفيَّتِه، فيأتي حاملاً صـوتَ الشَّـخصـيَّة القائلة، وصـوت الشَّـخصـيَّة المخاطَبة. يمكنُ إعادةُ إدراكِ الصوتين المذكورين في ضوء ربطهما بعمليَّة التَّفكُّكِ اللغويِّ على النحو الآتي:

- يمثِّلُ صـــوتُ الرجلِ الذَّامِّ الدنيا لغةَ الجاهلِ الذي يعتقد الشـــيءَ على خلافِ ما هو عليه.
- ويمثِّلُ صوتُ عليٍّ لغةَ العالم الذي يدركُ الأشياءَ بحقيقتها.

يدخلُ الصَّـوتان في مواجهةٍ حواريَّةٍ تعبِّرُ عن صـراعٍ وجهتَيْ نظر لغويَّتين أيديولوجيَّتين متضادَّتين ضمنَ ملفوظٍ سرديٍّ واحدٍ يُشَكِّلُ تركيباً هجيناً يتمُّ عبرَه بناءُ صورةٍ فنيَّةٍ لِلُغة الجاهل بوساطةِ لغةِ العالم كما تبيِّنُ الخطاطةُ الآتية:

اللغةُ المصوَّرة	+	**اللغةُ المصوِّرة**	←	**الصُّورةُ الفنيَّةُ لِلُّغة**
لغةُ الجاهل ممثَّلةً في صوتِ الذَّامِّ الدنيا		لغةُ العالم ممثَّلةً في صوتِ علي		تركيبٌ حواريٌّ هجينُ النَّمط ثنائيُّ الصوتِ وثنائيُّ اللغة يبني صورةَ لغةِ الجاهلِ من وجهةِ نظرِ العالم.

شـــكَّلَ التركيبُ اللغويُّ الهجينُ في الخبر الســـابق موضـــعاً نصـــيَّاً تقابلت فيه لغتان متباينتان اجتماعيَّاً؛ بغرضِ توضـيحِ لغةِ الجاهلِ بوصـفها لغةً تقوم على إدراك الأشـياء على خلافِ ما هي عليه، وذلك بوسـاطةِ لغةِ العالم، لتتشـكَّلَ صـورةٌ أدبيَّةٌ لِلُغة الجاهل تُنشِـئُ فنيَّة الأثر الأدبي المُنجَز.

وقد يتمُّ، من خلالِ التَّهجينِ اللغويِّ، بناءُ صـــورةٍ فكاهيَّةٍ لِلُغةِ الآخرِ عبرَ ما يُســـمِّيه باختينُ بالتَّعليلِ الموضوعيِّ المزعوم[1] كما سيتبيَّنُ من خلالِ تحليلِ الخبرِ الحواريِّ الآتي[2]:

"بينما معاويةُ بنُ مروانَ واقفٌ ببابِ دمشـــقَ ينتظرُ عبدَ الملكِ على بابِ طحَّانٍ، نظرَ إلى حمارِ الطَّحَّانِ يُدَوِّرُ الرَّحا وفي عنقِه جلجلٌ، فقال للطَّحَّانِ: لِمَ جعلْتَ في عنقِ الحمارِ جلجلاً؟ فقال: ربَّما أدركتني سـآمةٌ أو نعســةٌ، فإذا لمْ أسـمعْ صـوتَ الجلجلِ، علمْتُ أنَّه قام، فصـــحْتُ به. فقالَ معاويةُ: أرأيتَ إنْ قامَ وحرَّكَ رأسَـــهُ، ما علمُكَ أنَّه قائم؟ قالَ الطَّحَّانُ: ومَنْ لحماري بمثلِ عقلِ الأمير".

يجتمعُ في قولِ الطَّحَّانِ "ومن لحماري بمثل عقل الأمير" حَدَثان خِطابيَّان متباينان[3]:

خطابُ القائلِ مُمثَّلاً بالطَّحَّان الذي ينطقُ بالقول، وخطابُ المتلفِّظِ ممثَّلاً بالأميرِ الذي يرى الأشـــياءَ ويقوِّمُها، فينطقُ الطَّحَّانُ بما يراهُ الأميرُ متبنِّياً إيَّاه على ســـبيلِ التَّهكُّمِ. فيُظهِرُ القائلُ مشـاطرةَ المُتلفِّظِ الرَّأيَ، ويسـتبطنُ سـخريةً تصـوِّر لغةَ الأحمق، وترتقي بالمنجَزِ النَّصِّـيِّ إلى مستوى الفكاهيّ.

يحقِّقُ قولُ الطَّحَّانِ حواراً داخليّاً بين لغتين اجتماعيَّتين حاضـــرتين بوســـاطةِ التَّهجينِ اللغويِّ المتَّخذِ نمطَ التَّعليلِ الموضـوعيِّ المزعوم، ليتمَّ تصـويرُ لغةِ الأحمقِ بوساطةِ لغةِ العاقلِ تصويراً فكاهيّاً.

---

[1] يورد باختين المثال الآتي: "لكن الســـيد تيت بيرنيكل كان رجلاً مُزرَّراً حتى الذقن، وبالتالي، فقد كان رجلاً له ثقل". ثمَّ يعلِّق عليه بالقول: هذا مثال على التعليل الموضوعي المزعوم الذي يظهر وكأنه أحد مظاهر أقوال الآخرين المستترة. وفي حالتنا هذه يبدو وكأنه من أقوال "الرأي العام". وجميع العلامات الشكليَّة توضِّح أنَّ هذا التعليل صادر عن الكاتب الذي هو متضـامن معه شـكليًّا، غير أن التعليل، في الواقع، يقع داخل المنظور الذاتي للشـخوص، أو منظور الرأي العام. يميزُ هذا النوعُ من التعليل الذي هو أحد أنواع التراكيب الهجينة الأسلوبَ الهزليَّ. ينظر: الخطاب الروائي. ص76.

[2] ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، د ط، 1996م. ج2/ص42.

[3] سـتعتمدُ الدراسـةُ في تحليلِ ملفوظِ الطحان آراء "ديكرو" القائمة على تمييز القائل من المتلفِّظ فيما يُقال؛ بهدف توضـيح طريقة بناء التركيب اللغوي الهجين المتَّخذ نمطَ التعليل الموضـوعي المزعوم. ويرى "ديكرو" أنَّ القائلَ هو الذي يقول القول إذ ينطق به، أما المتلفِّظ فهو غير القائل، وإنما هو الذي يرى الأشياء ويقوِّمها. للتوسع ينظر: معجم السرديات. ص102.

2- الإضاءة الحواريَّة الدَّاخليَّة المتبادلة بين اللغات:

يتَّخذُ هذا النَّمطُ الحواريُّ أشكالاً تتمثَّلُ في: الأسلبةِ، والتَّنويعِ، والمحاكاةِ الساخرة.

2-1- الأسلبة:

يلتقي هذا الشَّكلُ الحواريُّ مع التَّهجينِ من جهةِ تشكُّلِه النَّصِّيِّ المؤسَّسِ على لغتين: لغةٍ مصوَّرةٍ، ولغةٍ مصوِّرةٍ، ويفترقُ عنه من جهةِ عدمِ التقاءِ تينك اللغتين على نحو مباشر ضمنَ ملفوظِ الشَّخصيَّةِ الخبريَّةِ، ليتأسَّسَ فعلُ التَّلفُّظِ على لغةٍ واحدةٍ (مصوَّرة) يمكنُ وصفُ حضورِها بالعلني، تُقدَّمُ في ضوءِ اللغةِ الأخرى (المصوِّرة) التي يمكنُ وصفُ حضورها بالضِّمنيِّ، فيتمُّ بناءُ صورةٍ فنِّيَّةٍ للُّغةِ يصفُها النُّقَّادُ بالآنيَّة[1] على النحو الذي سيبيِّنُه تحليلُ الخبرِ الآتي[2]:

"أكلَ عُذريٌّ مع معاويةَ، فرأى ثريدةً كثيرةَ السَّمنِ، فجرَّها بين يديه. فقالَ معاويةُ: {أخرقْتَها لتُغرقَ أهلها}[3]. فقال: {فسُقناهُ إلى بلدٍ ميتٍ}[4]."

تَعدِلُ الشَّخصيَّةُ الخبريَّةُ في المشهدِ السَّابقِ عن التَّعبيرِ المباشرِ عن مقصدِها إلى التَّعبيرِ غيرِ المباشرِ عبرَ أسلبةِ النَّصِّ الدِّينيِّ. يقرنُ البحثُ عمليَّةَ الأسلبةِ الخبريَّةِ بما يُعرفُ نقديَّاً بـــ "استبدالِ السِّياقِ"[5]؛ ففي الأثرِ السَّابقِ يُخرجُ معاويةُ الآيةَ القرآنيَّةَ من سياقها الدِّينيِّ

---

[1] ينظر: لحمداني، حميد، أسلوبية الرواية (مدخل نظري)، البيضاء، ط1، 1989م، ص 88.

[2] الزَّمخشري، محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط1، 1412هـ، ج3/ص209.

[3] الكهف: 71.

[4] فاطر: 9.

[5] علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، الدار البيضاء، سوشبريس، ط1، 1985م، ص95.

ويدمجُها في ســـياقٍ جديدٍ يُكســـبُها دلالةً جديدة؛ إذ تشـــكِّلُ تدخُّلاً مكوَّناً من عملٍ لغويٍّ[1] اســتفهاميٍّ يُنجزُه القائلُ يتوجَّهُ به إلى المقولِ له، فيرتبطُ عضــويّاً بالتَّدخُّلِ الثاني الذي يتمُّ من خلاله – على نحوٍ مشابهٍ – أسلبةُ آيةٍ قرآنيَّةٍ؛ فينجزُ، من خلالها، المقولُ له، إبَّانَ تحوُّلِه إلى قائل، عملَ الإثباتِ، ليكوِّنَ التَّدخُّلان وحدةً حواريَّةً تســـهمُ في بناءِ المُنجَزِ الخبريِّ. فيتمُّ في ملفوظيْ الشـــخصـــيتين الخبريتين إخراجُ الآيتين من ســـياقهما الدِّينيِّ ودمجُهما في ســـياقَيْن جديدَيْن، لتكتسبا دلالتين جديدتين؛ إذ تشكِّلان تدخُّلين ينهضـان بوظيفةِ بناءِ المشـهدِ الخبريِّ، فيُعبِّرُ كلا المتلفِّظَيْن عن موقفِه من خلالِ صـــورةِ النَّصِّ الدّينيِّ التي تمَّ تشـــكيلُها على النحو الآتي:

اللغةُ المصوِّرةُ (اللغةُ المؤسلِبةُ)	+	**اللغةُ المصوَّرةُ (اللغةُ المؤسلَبةُ)**	←	**الصُّورةُ الفنِّيَّةُ للغة**
لغتَا القائلين النَّصِّيَّيْن: معاوية والعذري، المحقِّقتان حضورين ضمنيَّين في الملفوظين السَّرديَّين		لغتا النَّصَّين الدِّينيَّين: {أخرقتها لتغرق أهلها} {فسقناه إلى بلد ميت} المحقِّقتان حضورين علنيَّين في الملفوظين السَّرديَّيْن، والمكتسبتان، بفعلِ اللغتين المؤسلِبَتَيْن، معنيين جديدين آنيَّين.		صورتا لغتَيْ النَّصَّين الدينيَّين

فالعلاقةُ بين اللغةِ المؤسلِبة، واللغة المؤسلَبة ليست ذات اتِّجاهٍ واحدٍ، فالمُؤسْلِبُ يعبِّرُ عن مقصدِه بطريقةٍ غيرِ مباشرةٍ بوساطةِ اللغة المؤسلَبة، واللغةُ المؤسلَبة تُقَدَّمُ من خلال لغةِ

[1] لهذا المصطلح تسميات أخرى من قبيل: العمل القولي، أو عمل خطابيّ. ومنطلق استعماله "أوستين" الذي أقرَّ أننا لا نتبادل أخباراً حينما نتكلم، فحسب، بل ننجزُ أعمالاً بما نقوله من أقوال؛ بقصد التأثير فيمَنْ نتوجَّه إليه بالقول، كأن نحقق عمل الوعد، أو عمل التهديد، أو الإنذار ونحن نتكلم. للتوســع ينظر: معجم الســرديات، محمد القاضـــي. ص294 وما بعدها.

المؤسلِب الذي يُكسبُها معنى جديداً آنيّاً، فتتعالقُ اللغتان حواريّاً بعمليَّة إضاءة متبادلة ترتقي بالنَّصِّ الخبريِّ جماليّاً.

تختلفُ عمليَّةُ أسلبةِ النَّصِّ الدِّينيِّ في ملفوظِ الشَّخصيَّةِ الخبريَّةِ عن عمليَّةِ تضمينِه البلاغيِّ، فعمليَّةُ الأسلبةِ مؤسَّسةٌ على استبدالِ سياقِ النَّصِّ المذكور بإخراجِهِ من مدارِهِ المقدَّسِ إلى مدارٍ دنيويٍّ، ليوظَّفَ في مجالِ التَّخاطبِ الاجتماعيِّ اليوميِّ، فيتمُّ منحُه معنى آنيّاً مرتبطاً بالسِّياقِ الجديد مشكِّلاً وحدةً بنائيَّةً في مشهدٍ حواريٍّ تُنجزُ من خلاله الشَّخصيَّةُ الخبريَّةُ عملاً لغويّاً تتوجَّهُ به إلى الشَّخصيَّةِ المقابلة لها في عمليَّة التَّخاطب. في حين لا يتمُّ استبدالُ سياقِ النَّصِّ الدِّينيِّ في عمليَّةِ التَّضمينِ البلاغيِّ، فيَرِدُ في ملفوظِ الشَّخصيَّةِ الخبريَّةِ على سبيلِ اقتباس غرضه تأكيد معنى جاءت به. فلا تقترنُ لغةُ المقتبِسِ مع لغة النَّصِّ المقتَبس بعلاقة حواريَّة؛ جرَّاء عدمِ تأسُّسِ عملية الاقتباسِ المذكورةِ على التَّأثيرِ المتبادَلِ بين اللغتين. يُظهرُ الخبرُ الآتي عمليَّةَ تضمينِ النَّصِّ الدِّينيِّ في ملفوظِ الشَّخصيَّةِ الخبريَّة:

"أُتِيَ الحجَّاجُ بأسرى، فأمرَ بقتلِهم، فقالَ له رجلٌ منهم: لا جزاكَ اللهُ يا حجَّاجُ عن السُّنَّةِ والمروءةِ خيراً، فإنَّ اللهَ تعالى يقول: {فإذا لقيتُم الذين كفروا فضربَ الرِّقاب حتَّى إذا أثخنتموهم فشُدُّوا الوثاق فإمَّا منّاً بعد وإمَّا فداء}[1]. فهذا قول الله تعالى في كتابه. وقالَ شاعرُكم فيما وصفَ به قومَه من مكارمِ الأخلاقِ:

وما نقتلُ الأَسْرَى ولكن نَفُكُّهُم إذا أَثْقَلَ الأعناقَ حملُ المَغَارِمِ[2]

فقال الحجاج: ويحكم! أَعَجزْتم أن تخبروني ما أخبرني به هذا المنافق! وأمسكَ عمَّن بقي"[3].

---

[1] محمد: 4.

[2] البيت للفرزدق، يُنظر: ديوانه، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعور، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1987م. ص617. وفيه: فلا نقتلُ الأسرى ...

[3] النُّويري، أحمد بن عبد الوهَّاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: علي بو ملحم، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م. ج6/ص59.

وإذ تفترضُ الأسلبةُ الخبريَّةُ عدمَ تجاورِ اللغتين: المؤسلِبة، والمؤسلَبة ضمنَ ملفوظِ الشَّخصيَّةِ الخبريَّةِ، قد يتعمَّدُ المؤسلِبُ إدراجَ لغتِه الخاصَّة إلى جانبِ اللغةِ المؤسلَبة، فيتَّخذُ تعالقُ اللغتين عندئذٍ نمطاً حواريّاً يُعرف بالتَّنويع.

2-2- التَّنويع:

يفترضُ البحثُ اقترانَ هذا الشَّكلِ الحواريِّ، شأنَ سابقِه، بعمليَّةِ استبدالِ السِّياقِ، غيرَ أنَّ اللغةَ المؤسلَبةَ ههنا تُقدَّمُ من خلالِ لغةِ المؤسلِبِ الذي يمنحُها معنى جديداً بإدخالِ لغته الخاصَّة ضمنَ الفعلِ التَّلفُّظيِّ، كما يتبيَّن من خلالِ تحليلِ ملفوظِ الشَّخصيَّةِ الخبريَّةِ في النَّصِّ الآتي[1]:

"جاءَ رجلٌ إلى بعضهم، فقال: أفطرتُ يوماً من شهرِ رمضانَ ساهياً، فما عليَّ؟ قال: تصومُ يوماً مكانَه. قال: فصمْتُ، فأتيْتُ أهلي وقد عملوا حَيْساً، فسبقتني يدي إليه، فأكلْتُ منه. قال: تقضي يوماً آخر. قال: فقضيْتُ يوماً مكانَه وأتيْتُ أهلي وقد عملوا هريساً، فسبقتني يدي إليه، فأكلْتُ منه، فما ترى؟ قال: أرى ألا تصومَ إلا ويدُكَ مغلولةٌ إلى عنقك".

يتأسَّسُ ملفوظُ الشَّخصيَّةِ "أرى ألا تصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك" على حوارٍ داخليٍّ بينَ لغتين: لغةِ القائلِ، ولغةِ النَّصِّ الدِّينيِّ؛ إذ يعمدُ القائلُ إلى النَّصِّ الدِّينيِّ {ولا تجعلْ **يدكَ مغلولةً إلى عنقك**}[2] فيُخرجُه من سياقِه القائمِ على تمثيلٍ يُستعمَلُ فيه معنى قبضِ اليدِ استعمالاً مجازياً للبخل، ليدمجَه في سياقٍ جديدٍ يُستعملُ فيه المعنى المذكورُ استعمالاً حقيقيّاً بإدخالِ التَّركيبِ الإسناديِّ "أرى ألَّا تصومَ"، فتتجاورُ لغةُ المؤسلِب مع لغة النَّصِّ المؤسلَب وتتبادلان عواملَ التَّأثيرِ والتَّأثُّرِ في علاقةٍ حواريَّةٍ تتَّخذُ شكلَ التنويع هدفُها إنشاءُ صورةٍ فنِّيَّةٍ لِلُغةِ النَّصِّ الدِّينيِّ.

---

[1] الآبي، منصور بن الحسين، نثر الدر في المحاضرات، تح: خالد محفوظ، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م. ج4/ص211.

[2] الإسراء: 29.

وفي شكلٍ ثالثٍ من أشكال الإنارة المتبادلة بين اللغات، يتمُّ إنشاءُ صورةٍ فنيَّةٍ للغةِ عبرَ أسلبةِ المحاكاةِ الساخرة.

2-3- المحاكاة السَّاخرة:

تتحقَّقُ المحاكاةُ السَّاخرةُ[1] في النَّصِّ الخبريِّ باستدعاءِ الرَّاوي نصّاً ينتمي إلى جنسٍ معيَّن يوردُه بحرفيَّتِه على لسانِ شخصيَّةٍ خبريَّةٍ؛ بقصدِ إكسابِه دلالةً جديدةً تنطوي على سخرية، ليتأسَّسَ ملفوظُ الشَّخصيَّةِ الخبريَّةِ على صراعٍ جوهريٍّ[2] بينَ لغتين: لغةٍ مصوِّرةٍ تتمثَّلُ في لغةِ النَّصِّ بدلالتِه الجديدة ذاتِ البعدِ السَّاخر، ولغةٍ مصوَّرةٍ تتمثَّلُ في لغةِ النَّصِّ بدلالتِه الأصليَّة. فتعملُ اللغةُ المصوِّرةُ على تحطيمِ اللغةِ المصوَّرة؛ لتحقيقِ أهدافٍ يبيِّنُها تحليلُ الصورةِ الفنِّيَّةِ النَّاجمةِ عن أسلبةِ المحاكاةِ الساخرة في ملفوظ الشَّخصيَّة الخبريَّة في النَّصِّ الآتي[3]:

"قيل: لما صَرَفَتِ اليمانيَّةُ من أهلِ مِزَّةَ الماءَ عن أهلِ دمشقَ ووجَّهوهُ إلى الصَّحارى، كتب إليهم أبو الهيذام: إلى أهلِ مزة، لَيُمسِّيني الماءُ، أو لتُصبِّحنَّكم الخيل. قال: فوافاهم الماءُ قبل أن يُعتموا. فقال أبو الهيذام: الصدقُ ينبي عنك لا الوعيد.".

---

[1] يقول باختين: أما في المحاكاة الساخرة فنجد المؤلف، شأنه في تقليد الأساليب (أي الأسلبة)، يتحدث بوساطة كلمة الآخرين، ولكنه، بخلاف ما يفعله في تقليد الأساليب، يُدخل في هذه الكلمة اتِّجاهاً دلاليّاً يتعارض تماماً مع النَّزعة الغيريَّة. إنَّ الصوت الثاني الذي استقرَّ في الكلمة الغيريَّة يتصادم هنا بضراوة مع سيد الدار الأصلي ويجبره على خدمة أهداف تتعارض مع الأهداف الأصلية تماماً. الكلمة تتحوَّل إلى ساحة لصراع صوتين اثنين. شعرية دوستويفسكي. ص282.

[2] يقول باختين: يُشترط في الباروديا أن تعيد خلق لغة بارودية وكأنها كلٌّ جوهريٌّ مالك لمنطقه الداخلي، وكاشف لعالم متفرد مرتبط باللغة التي كانت موضوعاً للباروديا. يُنظر الخطاب الروائي. ص123.

[3] التذكرة الحمدونية. 465/1.

يتمُّ في ملفوظِ أبي الهيذام "الصـــدقُ ينبي عنك لا الوعيد" محاكاةُ النَّصِّ المثليِّ محاكاةً ســـاخرةً ناجمةً عن التَّناقضِ بين موردِ المثلِ ومضـــربِه[1]، فيَخرجُ المثلُ المذكورُ من أفقِه الأجناسـيِّ بوصـفِه قولاً موجزاً صـائبَ المعنى، تُشَـبَّهُ به حالةٌ حادثةٌ بحالةٍ سـالفةٍ، ليُشـكِّلَ في ملفوظ أبي الهيذام مادَّةَ تصـــويرٍ فنِّيٍّ؛ إذ يتمُّ تشـــكيلُ صـــورةٍ هزليَّةٍ لنصِّ المثلِ على النَّحو الآتي:

يحيدُ الرَّاوي بالنَّصِّ المثليِّ، عبرَ ملفوظِ الشَّـخصـيَّةِ الخبريَّة، عن أسـلوبِه الأصـليِّ إلى أسـلوبٍ آخرَ ينطوي على سـخرية، فيُشـكِّلُ نصُّ المثلِ الذي تنطقُ به الشَّـخصـيَّة نصَّـاً لاحقاً يمكن التَّمثيل له بالرَّمز (ب) يحاكي نصَّ المثلِ الأصـليِّ الذي يشـكِّل في الملفوظ نصّـاً سـابقاً يمكن التَّمثيل له بالرَّمز (أ)، فيُشـكِّلُ ملفوظُ الشَّـخصـيَّةِ الخبريَّةِ ميداناً يلتقي فيه نصَّـان (أ) و(ب) يرتبطان بعلاقةٍ نصِّـيَّةٍ لاحقة تتَّخذُ نمطَ المحاكاةِ السَّـاخرة؛ إذ يعملُ النَّصُّ (ب) على تقويضِ النَّصِّ (أ) ببناءِ صورةٍ هزليَّةٍ له توضِّحُها الخطاطةُ الآتية:

اللغةُ المصوَّرةُ (النَّصُّ السابقُ)	+	**اللغةُ المصوِّرةُ (النَّصُّ اللاحقُ)**	←	**الصُّورةُ الفنِّيَّةُ للغةِ**
(أ)		(ب)		
النَّصُّ المثليُّ بدلالتِه الأصليَّة		النَّصُّ المثليُّ بدلالتِه السَّاخرةِ		صورةُ النَّصِّ المثليِّ

وإذ يُنشِـــئُ الرَّاوي صـــورةً فنِّيَّةً ســـاخرةً للنَّصِّ المثليِّ، يهدف إلى ما يســـمِّيه باختينُ بالتصـويبِ عن طريقِ الفكاهةِ[2]؛ إذ يوجِّهُ نقداً لإسباغ صـفةِ القداسـةِ على النُّصـوصِ المثليَّةِ التي طالما تعاملت معها العربُ بوصفِها نصوصاً تصيبُ المَحَزَّ وتطبِّقُ المَفْصلَ، فكان لها سلطاناً عليهم بما تتضمَّنُ من أحكامٍ يُجمعون على الإذعانِ لها. وإنَّ إنشاءَ مقابلٍ هزليٍّ للنَّصِّ

---

[1] فمعنى المثل أنَّ صـــدقك في لقائك عدوَّك هو الذي يدفعهُ عنك، لا وعيدك إيَّاه من غير فعل. ويُضـــربُ في كلِّ أمرٍ تزاوله، فإنما يظفِّرك منه بما ترغب، وينجيِّك ممَّا ترهب صـــدقُك وجِدُّك وســـعيُك جلباً ودفعاً، لا مجرد اللســـان. ينظر: اليوسي، الحسن، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: محمد حجي، ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة، ط1، 1981م. ج3/ص251-252.

[2] الكلمة في الرواية. ص249.

المثليِّ يبرزُ استعصاءَ الواقعِ على محاولاتِ إفراغِه في قوالبَ لغويَّةٍ، ومن ثمَّ يحاولُ الراوي زحزحةَ الأمثالِ عن مكانتِها المقدَّسةِ وتوجيهِ المتلقِّي إلى ضرورةِ إخضاعِ النَّصِّ المثليِّ لسلطةِ العقلِ، لا إخضاعِ العقلِ لسلطتِه. وقد ظهرَ نظيرُ تلك المحاولةِ صراحةً في بعضِ كتبِ الأخبارِ، فقد جاء في الخبر أنَّ رجلاً قال لأعرابي: أَتجلبُ التَّمرَ إلى هَجَر؟ فقال: نعم، إذا أجدبَتْ أرضُها وعدِمَ نخلُها[1]. وتَظهرُ في كتبِ الأمثالِ نصوصٌ مثليَّة تتناقضُ في مستوياتِها الدلاليَّة ما يسوِّغُ المحاولات المذكورة، من ذلك قولُهم: أرسِلْ حَكيماً وأوصِهِ[2]. وقولُهم: أرسِلْ حَكيماً ولا توصِهِ[3].

3- الحواراتُ الخالصةُ:

يتأسَّسُ النمطُ المذكورُ على حوارٍ داخليٍّ بينَ لغتين أيديولوجيَّتين تتمثَّلان في خطابَيْ شخصيَّتَيْن خبريَّتين تتحاوران في مشهدٍ سرديٍّ على نحوٍ يُظهر مرونةَ اللغةِ، وقابليَّتَهَا للتَّشكُّلِ بحسب الطَّبقةِ الاجتماعيَّةِ؛ إذ يُنطقُ راوي النَّصِّ الخبريِّ الحواريِّ شخصيَّاتِه بلغاتٍ تعبِّرُ عن بيئاتِها الاجتماعيَّةِ، لتُنشِئَ النُّصوصُ الخبريَّةُ الحواريَّةُ صوراً لمختلفِ اللغاتِ الاجتماعيَّة السائدة في المجتمع، من ذلك ما جاء في الخبر الآتي[4]:

"دقَّ رجلٌ دارَ نحويٍّ، فقال: من ذا؟ فقال: أنا الذي أبو عمرو الجصاص عقد طاق باب هذا الدار. فقالَ النَّحويُّ: ما نرى لك في صلةِ الذي شيئاً. فانصرفْ راشداً".

---

[1] ينظر: التذكرة الحمدونية. ج7/ ص198. ويقال في المثل: كَمُسْتَبْضِعِ التَّمرَ إلى هجر: ذلك أنَّ هجر معدن التَّمر، فالمستبضع التَّمر إليها مخطئ. ينظر: ابن سلام، أبو عبيد القاسم، تح: عبد المجيد قطامش، دمشق، بيروت، دار المأمون للتراث، ط1، 1980م. ص292-293.

[2] الميداني، أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، بيروت، دار مكتبة الحياة، د ط، 1995م، ج1/ص423.

[3] المصدر نفسه، ج1/ص423.

[4] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، أخبار الحمقى والمغفَّلين، شرحه: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، ط1، 1990م، ص189.

يظهرُ الحوارُ السَّابقُ العلاقةَ الوثيقةَ بين الحقلِ المعجميِّ[1] والانتماءِ الطَّبقيِّ للمتحاورَيْن في المشـهدِ السَّـرديِّ. فيُنشـئُ الأثرُ المنجَزُ صـورتَيْ أفقَيْن لغويَين اجتماعيَّين يرقى تبادلُهما التَّواصليُّ بالنَّصِّ إلى مستوى الفكاهيِّ.

وقد أظهرَتْ بعضُ النُّصـــوصِ الخبريَّةِ الحواريَّةِ اتِّخاذَ المفردةِ نفسِـــها معنى يختلفُ باختلافِ الانتماءِ الأيديولوجيِّ لمستعملِها، كما يتبيَّنُ في النَّصِّ الآتي[2]:

"قالوا: لمَّا ضُـرِبَ سـعيدُ بنُ المسـيب[3]، أُقيمَ للناس، فمرَّتْ به أَمَةٌ لبعضِ المدينيِّين، فقالَتْ: لقد أقمْتَ مقامَ الخزي يا شيخ. فقال سعيدٌ: من مقام الخزي فررْت".

تكتســـبُ مفردةُ "الخزي" في الحوار السَّـــابق معنيين يتباينان بتباين الانتماء الطَّبقيِّ للشَّخصـيَّتَيْن اللتين تُقيِّمان الحادثة التي تعرَّض لها ابن المسيَّب إثرَ امتناعه عن البيعة للوليدِ بنِ عبدِ الملكِ، فالخزي من منظورِ الأَمَةِ يتمثَّلُ في فضوح الدُّنيا، فقد وجدَتْ أنَّ سعيداً وقعَ في شـرٍّ إثرَ ضـربِهِ، فذلَّ جرَّاء ذلك وهان أمره. في حين يتمثَّلُ الخزي من وجهةِ نظرِ الفقيهِ في فضوح الآخرةِ، وقد جاءَ في دعاءِ النَّبيِّ (ص): "اللهمَّ احْشُرْنا غيرَ خَزَايا[4]"؛ أي غيرَ مُسْتَحْيين من أعمالنا. وقد وجد ابن المســـيَّبِ في تحوُّلِ نظامِ الحكمِ عن نظريَّةِ الشُّـــورى إلى نظريَّةِ التَّوريثِ تحوُّلاً عن الفكرِ السِّياسـيِّ المحقِّقِ إرادةَ اللهِ والمصلحةَ العامَّةَ، فقابلَه بالرَّفضِ. فيُظهرُ

---

[1] يُعرَّفُ الحقلُ المعجميُّ بأنَّه: (مجموع الكلمات التي يجمِّعها اللســـان، أو يخترعها؛ ليدلَّ على المظاهر المختلفة لتقنيَّة، أو لشيء، أو لمفهوم). بركات، وائل، وآخرون، اتجاهات نقديَّة حديثة ومعاصرة، جامعة دمشق 2003–2004م، ص94. نقلاً عن:

GENOUVRIER (E) PEYTARD (J),1970_ Linguistique et enseignement du français. Larousse, Paris, P206.

[2] نثر الدر في المحاضرات، ج2/ص103.

[3] سـعيد بن المُسَـيَّب بن حَزْن (ت94هـ) سـيِّد التَّابعين، وأحد الفقهاء السَّبعة في المدينة. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م. ج3/ص102. ومما جاء في كتاب جُمَل من أنسـاب الأشـراف (البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، تحقيق: سـهيل زكّار، رياض زركلي، دار الفكر، ط1، 1996م): ضـربَ هشـامُ بنُ إسـماعيلَ المخزومي في سـنة 86هـ سـعيدَ بن المسـيب سـتين صـوتاً وطاف به في تبَّان من شـعر؛ إثرَ امتناعه عن البيعة للوليد. ينظر: ج10/ص234. وهشـــام بن إســـماعيل المذكور آنفاً هو والي عبد الملك على المدينة، تولى ســـنة 82هـ. الأعلام ج8/ص84.

[4] اللسان (خزا). ولم أقع عليه في كتب الأحاديث.

التَّضـــادُ بين وجهتَيْ نظر الشَّـــخصـــيَّتين الخبريَّتين الإدراكَ المتباين للعالم بحســـب الانتماء الأيديولوجي للشَّـخصـيَّة. وقد أنشـأَ الخبرُ صـورتَيْ أفقَيْن لغويَّين اجتماعيَّيْن متباينين أفضـى اصطدامُهما الحواريُّ إلى إبرازِ فكرةِ التَّضادِ بين الخزي الدُّنيويِّ، والخزي الآخرويِّ.

خاتمة:

تأسَّسَتْ مشاهدُ المتون الخبرية المشكلة مدونة البحث على حواريَّةٍ لغويَّةٍ ناجمةٍ عن تفكُّكِ لغة المشهد الخبري داخليّاً إلى لغات أيديولوجيَّة يُشركها منتج النص في التَّعبير عن مقصديَّته، ما يقوِّضُ الأحاديَّة اللغويَّة في النَّصِّ الخبريِّ، ويفتحهُ على تعدُّديَّةِ الخطابات الأيديولوجيَّة التي ترتبطُ بعلاقات حواريَّة تفاعليَّة تتَّخذُ أنماطَ التَّهجين، والإضاءة الحواريَّة الداخليَّة المتبادلة بين الخطابات، والحوارات الخالصة تهدف إلى تمثيل لغة الآخر أدبيّاً في المُنجَز الخبري.

وقد خرجَ البحثُ بالنتائجِ الآتية:

1. يشكِّل خطابُ الشَّخصيَّة الخبرية في المُنجَز الخبريِّ الحواريِّ عاملَ تفكيكٍ لغوي؛ لاستقلاله عن التأثيرات الفكريَّة لمنشِئ النص، وتحقيقه اندماجاً فنيّاً بين الفرديِّ والجمعيِّ، ووقوفه على السَّويَّة مع خطاب الراوي، وخطاب الشخصية المقابلة في النِّطاق التَّخاطبيِّ.
2. تخرجُ خطابات الشخصيات الخبريَّة الداخلة في تكوين المشاهد المدروسة عن السُّلطةِ الأيديولوجيَّة لمنتج النص، غير أنها لا تخرجُ عن أسلوبه الفني القائم على إشراك اللغات الأيديولوجية في التعبير عن مقصديَّته بهدف حَرْف لغته الخاصة، وتفكيك لغة نصه إلى لغات تقترن فيما بينَها، وفيما بينَها وبين منتج النص بعلاقات منطقية تتطوَّر إلى مستوى حوارات جوهريَّة.
3. يفترضُ هذا البناءُ الفنيُّ موقفاً أيديولوجيّاً لمبدع النَّصِّ الخبريِّ الحواريِّ قوامُهُ الانفتاحُ الفكريُّ على الآخرِ سبيلاً لتطويرِ الفكرِ الإنسانيِّ بما يُثبتُ سبقَ الإخباريين العرب إلى ما يسمِّيه باختين بالكشفِ الفنيِّ عن الطَّبيعةِ الحواريَّةِ للفكرة.

4. يشـكِّلُ البناءُ الحواريُّ القائمُ على أسـاسِ الفصـلِ بين أيديولوجيا منشـئ النَّصِّ وأيديولوجيا الشَّـخصـيَّة الخبريَّة جديداً على مسـتوى النِّظام اللغويِّ للمنجَزِ الخبريِّ؛ إذ ينقله من مستوى المطلق إلى مستوى النِّسبيِّ.
5. يرتبطُ الانتقالُ المذكورُ ببروز تشـكُّلاتٍ أيديولوجيَّة جديدة في المجتمعِ الإسـلاميِّ الناشـئ، أعادَ الإخباريُّون إنتاجَها فنِّيّاً بإدخالها في علاقاتٍ حواريَّةٍ تفاعليَّةٍ أسـهمت في تطوير نُظُمِها الفكريَّة. فتعدَّدت المسـتويات الخطابيَّة في المشـهد الخبري على نحو يحاكي واقع تعدُّدها في المجتمع الناشـئ. وقد أظهرَ الإخباريون العرب إدراكاً عميقاً للعلاقة القائمـة بين المجتمع والأدب، فأخرجوا مفهومَ المحـاكـاة من مجرَّدِ تمثيلِ الواقعِ لجعله ضـــرباً من الخلق والإبداع، فمثَّلوا الواقعَ الاجتماعيَّ فنِّيّاً عبر إدراك علاقات الواقع، والصـورة التي ينبغي أن تسـود تلك العلاقات في المسـتقبل، ليُشكِّلَ أدبهم أداةً فعَّالة في عمليَّة التَّطوير الاجتماعيِّ.
6. يُشكِّلُ انتقالُ لغةِ النَّصِّ من المطلقِ إلى النِّسبيِّ جديداً على مستوى النظام اللغوي لم يقفْ عليه أحدٌ من النُّقَّاد الذين وجَّهوا عنايتهم نحو الجديد الذي أحدثَهُ الانتقالُ الحضـاريُّ من الجاهليَّةِ إلى الإسـلام على مسـتويَيْ شـكلِ النصـوص الأدبيَّةِ، ومضمونها فحسب.
7. يَعُدُّ البحثُ الخبرَ حواريَّ التَّوجُّهِ النَّوعَ الأدبيَّ الممثِّلَ للتَّنظيمِ الاجتماعيِّ المسـتجدِّ في المجتمعِ النَّاشِئ.
8. إنَّ إشـــراكَ منتج النص الخبري الحواري الخطاباتِ الأيديولوجيَّةَ في التعبير عن مقصديَّته يعني الاعتراف بالآخر بوصفه مساوياً للذَّات على مستوى فعل التَّعبير، فيتعامل النص الخبري الحواري مع وجهة نظر الآخر بوصـفها مسـهمةً في إبراز جانب من جوانب الموضـوع قيد النِّقاش، فالموضـوع أوسـع من أن يُرى من زاوية حصريَّة، وإنَّ إحاطةَ المتلقي به على نحو يتيح له تكوين تصوُّرٍ شاملٍ عنه يتطلَّبُ عرضَ وجهات النظر اللغوية الاجتماعيَّة المتعدِّدة حوله، بخلاف النَّصِّ الخبريِّ المونولوجيِّ الذي يناقش موضـــوعه من زاوية نظر أحاديَّة يحاول فرضـــها على

المتلقِّي. غير أنَّ ذلك لا يعني التَّقليل من أهميَّة النصـــوص الخبريَّة أحاديَّة الأيديولوجية، فإذا كانت النُّصـــوصُ الخبريَّةُ الحواريَّةُ تطوِّرُ الفكرَ، تعملُ نظائرُها المونولوجيَّةُ على توجيهه، فقد اضـطَّلعَ الخبرُ أحاديٌّ اللغة في المجتمع الإسـلاميِّ بوظيفة فرض مبادئ سلوك عمليَّة توجِّهُ نشاطَ العقلِ الإنسانيِّ بما يطوِّرُ المجتمعَ الناشئَ.

9. حوارُ خطابات الشـخصـيات في النص الخبري المونولوجي منطقيٌّ يعتمدُ أسـاليبَ بلاغيَّةً تحقِّقُ إنتاجيَّةَ النص في حين أنَّ حوارَ خطابات الشـــخصـــيات في النص الخبري الحواري فكريٌّ تفاعليٌّ يُحدث تأثيراً متبادلاً يحقِّقُ إنتاجيَّةَ النَّصِّ.
10. يتوجَّـهُ النَّصُّ الخبريُّ بنوعيـه المونولوجيِّ والحواريِّ نحو المتلقي بطرائقَ من التعبير الفني تختلفُ في أساليبها وتأتلفُ في غايتها.
11. تشكِّلُ العلاقةُ المنطقيَّةُ بين خطابين في مشـهدٍ خبريٍّ علَّةً محدِّدةً تضـطَّلعُ بتسـويغٍ قبليٍّ لسـببِ ظهورِ العلاقةِ الحواريَّة. وتتطوَّرُ العلاقةُ المنطقيَّةُ إلى مسـتوى علاقةٍ حواريَّةٍ إذا مثَّلَ حدَّاها خطابين فرديَّيْن متمايزين يعبِّران عن موقفين أيديولوجيين.
12. تميزُ الخاصـــيَّةُ التَّبادليَّةُ العلاقةَ الحواريَّةَ الرابطةَ بين خطابين أيديولوجيين في مشهد خبري.
13. تتَّخذُ العلاقةُ الحواريَّةُ الرَّابطةُ بين خطابين أيديولوجيين في مشـــهد خبري أنماطاً تتمثل في التَّهجين، والإضاءة الحواريَّة الداخليَّة المتبادلة بين الخطابات، والحوارات الخالصـة تهدف في مجملها إلى إنشـاء صـورة فنية للغة. فالصـورة الفنية في النص الخبري الحواري صـــورة أفق لغوي أيديولوجي محدَّد تبنى حواريّاً بوســـاطة إحدى الأنماط آنفة الذكر، بخلاف الصـــورة الفنية في النص المونولوجي إذ تُبنى بلاغيّاً بوساطة إحدى الأساليب البيانية كالتشبيه أو الاستعارة أو ...
14. إنَّ الحديث عن مجموعة من الأخبار تنتظمها خصـــائص أســـلوبية تَميزُها من نظائرها يدفعُ البحثَ لاقتراح تصـنيف نوعي، هو الأول، فيقسـمُ النَّصَّ الخبريَّ إلى نوعين خبريين فرعيين: النص الخبري المونولوجي، والنص الخبري الحواري معتمداً

مقياس "علاقة الراوي بالشـــخصـــية الخبرية"، فيربطُ النَّصَّ الخبريَّ المونولوجيَّ بتراتبيَّة مستويات الوعي، ويحدِّدُ النَّصَّ الخبريَّ الحواريَّ بتكافؤ مستويات الوعي.

قائمة المصادر:

- القرآن الكريم.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن، أخبار الحمقى والمغفَّلين، شـــرحه: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، ط1، 1990م.
- ابن الطبيب، عبده، شعره، تح: يحيى الجبوري، بغداد، دار التربية، 1973م.
- ابن حجر، أوس، الديوان، تح: محمد يوســـف نجم، بيروت، دار صـــادر، ط3، 1979م.
- ابن حمدون، محمد بن الحســـن بن محمد بن علي، التذكرة الحمدونيَّة، تح: إحســـان عباس، بكر عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 1996م.
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم، الأمثال، تح: عبد المجيد قطامش، دمشق، دار المأمون للتراث، ط1، 1980م.
- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مســـلم، عيون الأخبار، دار الكتب المصـــرية، دط، 1996م.
- ابن منظور الإفريقي المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، دط، دت.
- ابن يزيد، المبرِّد، محمد، الكامل في اللغة والأدب، تح: عبد الحميد هنداوي، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، دط، دت.
- الآبي، منصور بن الحسين، نثر الدر في المحاضرات، تح: خالد محفوظ، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م.
- الأخطل، الديوان، شرحه وصنَّف قوافيه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1994م.

- الأزهري، أبو منصـــور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تح: عبد الســـلام ســـرحان، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والتر، دط، دت.
- الأصـــفهاني، أبو الفرج علي بن الحســـين، الأغاني، تح: إحســـان عباس، إبراهيم السعافين، بكر عباس، بيروت، دار صادر، ط3، 2008م.
- بكار، يوسف حسين، شعر إسماعيل بن يسار، بيروت، دار الأندلس، ط1، 1984م.
- البَلَاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، جُمل من أنســاب الأشــراف، تح: ســهيل زكار، رياض زركلي، دار الفكر، ط1، 1996م.
- الجاحظ، البيان والتبيين، تح وشـــرح: عبد الســـلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط7، 1998م.
- الزَّبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد العزيز مطر، مراجعة: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1994م.
- الزَّمخشـــري، محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصـــوص الأخيار، بيروت، مؤســـســـة الأعلمي، ط1، 1412هـ.
- الفرزدق، الديوان، شـــرحه وضـــبطه وقدم له: علي فاعور، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1987م.
- الميداني، أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، بيروت، دار مكتبة الحياة، دط، 1995م
- النُّويري، أحمد بن عبد الوهَّاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: علي بو ملحم، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م.
- اليوســي، الحســن، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: محمد حجي، محمد الأخضــر، المغرب، دار الثقافة، ط1، 1981م.

قائمة المراجع العربية:

- بركات، وائل، وآخرون، اتجاهات نقديَّة حديثة ومعاصـــرة، جامعة دمشـــق 2003-2004م.
- حمداوي، الجميل، التداوليات وتحليل الخطاب، ط1 2015م. ص4.
- الديوب، سـمر، النص العابر: دراسـات في الأدب العربي القديم، دمشـق، منشـورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، 2014م.
- الرويلي، ميجان، البازعي، سـعد، دليل الناقد الأدبي، المغرب، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، ط3، 2022م.
- الزركلي، خيرالدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15 2002م.
- علوش، سـعيد، معجم المصـطلحات الأدبية المعاصـرة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، الدار البيضاء، سوشبريس، ط، 1985م.
- عناني، محمد، المصـــطلحات الأدبيَّة الحديثة، دراســـة، ومعجم إنكليزي – عربي، لونجمان، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط3، 2003م.
- لحمداني، حميد، أسلوبية الرواية (مدخل نظري)، البيضاء، ط1، 1989م.
- مجموعة من المؤلفين، معجم الســرديات، إشــراف: محمد القاضـــي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط1، 2010م.

المراجع المترجمة:

- باختين، ميخائيل، الخطاب الروائي، تر: محمد برَّادة، القاهرة، دار الفكر للدراســـات والنشر والتوزيع، ط1، 1987م.
- باختين، ميخائيل، شـعرية دوسـتوفيسـكي، تر: جميل نصـيف التكريتي، مراجعة: حياة شرارة، بغداد، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ط1، 1986م.

- باختين، ميخائيل، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاق، دمشق، سوريا، منشورات وزارة الثقافة، 1988م.
- برنس، جيرالد، المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003م.
- لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفيَّة، تعريب: خليل أحمد خليل، أشرف عليه: أحمد عويدات، بيروت، باريس، منشورات عويدات، ط2، 2001م.

الدوريات:

- الديوب، سمر، الحجاج في بائية إسماعيل بن يسار النسائي، مجلة فصل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد 12، 2016م.

Resources:

- Al Quran Al Kareem
- Ibn al Jawze, Abo al Faraj Abd al Rahman, akhbar alhamkah wa almoghafaleen, shrhah: Abd al Ameer Mhna, dar alfekr alobnane, 1990 A.D
- Ibn altabeb, Abdh, sherah, tahkek: Yahya al Jabore, Baghdad, dar altarbeia, 1973 A.D
- Ibn Hjr, Aous, aldewan, tahkek: Mouhammad Yousef Najem, Beruit, dar sader , 1979A.D
- Ibn Hamdon, Mouhammad bn al Hasan bn Mouhammad bn Ali, altathkera alhamdonia, tahkik: Ehsan Abass, Bakr Abbas, Beruit, dar sader 1996A.D
- Ibn Salam, Abo Abeed al kasem, al amthal, takik: Abd al Majeed ktamesh, Demashk, dar alma'mon liltorath,1980A.D
- Ibn Qutaibah al Daynori, Abd Allah bn Muslem, euyun alakhbar, dar alkotob almasria, 1996A.D
- Ibn Manzor alefreke almasre, abo al Fadel Jamal al deen Mouhammad bn Makrm, lesan al Arab , Beruit, dar sader
- Ibn Yazeed , al Mbred, Mouhammad, alkamel fe alogha wa ala'dab, tahkik: Abd al Hamid Hendawi, Almamlaka alarabia al

Sudia, wezaret alshown aleslamia wa alwkaf wa aldawa wa alershad,

- Alabie, Mansour bn al Hussein, nathar aldr fe almohadrat, tahkik: Khalid Mahfouz, dar alkotob alelmia, 2004A.D
- Al akhtal, aldewan, sharah wa sanaf kwafeh wa kadam laho: Mahdi Mouhammad Nasser Aldeen, Beruit, dar alkotob alelmia , 1994 A.D
- Alazhari, Abo Mansour Mouhammad bn Ahmad , tahzeb aloghah, tahkik: Abd Al Salam Sarhan, morajet: Mouhammad Ali al Najar, aldar almasria liltalef wa altrjameh
- Alasfahani, abo alfarj Ali bn al Hussein , alaghane, tahkek: Ehssan Abbas, Ebrahim Alsa'afeen, Bakr Abbas, Beruit, dar sader, 2008 A.D
- Bakar, Yousef Hussein, sha'ar Ismael bn Yassar , Beruit, dar alandalos, 1984A.D
- Alblathri, Ahmad bn Yahya bn Jaber , jomal men ansab aleshraf, tahkik: Sohel Zkar, Ryad Zrkli, dar alfkr,1966A.D
- Al Jahez, albyan wa altabeen, tahkik wa sharh: Abd Elslam Haron , al Kahera, maktebt alkhanji, 1998A.D
- Al Zobaedi, Mouhammad Mortada al Husseini, Taj al arous men jwaher alkamos , tahkik: Abd al Azez Matr, morajet: Abd al Star Ahmad Fraj , matbet hkomet al Kwit , 1994A.D
- Al Zamkhshari, Mahmoud bn Omar, Rabe'a alabrar wa nsous alakhyar, Beruit moasaset ala'lami, 1412 B.C
- Al Farzdk, aldyowan, sharah wa dabath wa kadam laho: Ali Faour, Beruit, lebanon, dar alkotob alelmia, 1987 A.D
- AL Mydani, Ahmad bn Mouhammad, mojam'a alamthal , Beruit, dar maktabet alhayat, 1995 A.D
- Al Noayri, Ahmad bn Abd Alwhab, nehayt al'arb fe fnon al'adab , tahkik: Ali bo Molhem, Beruit, Lebanon, dar alkotob alelmia, 2oo4 A.D
- Al yosi, Alhasan, Zahr Al'akm fe al'amthal wa alhokm , tahkik: Mouhammad Haji, Mouhammad al'akhdar, al Maghreb, dar althakafa, 1981 A.D

Arabic Refrences

- Barakat, Wael, wa akharoon, etijahat nakdia hadetha wa moa'asera, jamet Demashk, 2004 A.D
- Hamdawi , Jamil , altadawelyat wa tahlel alkhetab, 2015 A.D
- Al Dyoub , Sammar, alnas alaber: derasat fe aladab alarabi alkadem, Demashk, manshorat, ithad alkotab al Arab,2014A.D
- Al Royle, Mejan, Albaze, Sa'ad dalel alnaked aladabi, al Maghreb, Beruit, Lebanon, almarkz althkafi al Arabi, 2022A.D
- Al Zerkli, Khyer al Deen, al'alam, dar al'alm lilmalaeen, 2002 A.D
- Aloush, Sa'aed, mo'ajam almostalahat aladabia almoasera, Beruit, dar alketab al Lobnani , aldar albed'a, Soshbres, 1985A.D
- Anani, Mouhammad, almostalahat aladabia alhadetha,deras, wa mo'ajam Enklezi _Arabi Lonjman, alshareka almasria alalmia lilnasher, 2003A.D
- Alhamdani, Hamid, 'uslubiet alrewaya(madkhal nazari), al Bed'a , 1989 A.D
- majmuea men almualifin, mujam alsrdyat, eshraf: Mouhammad al Kade, alrabetah aldoalia lilnashreen almostaklin, 2010 A.D

Translated Refrences

- Bakhteen, Mekhaeel, alkalemah fe alrwaya, tarjamet: Mouhammad Brada, al Kahera, dar alfekr lilderasat wa alnasher wa altwzea, 1987 A.D
- Bakhteen, Mekhaeel, shareit Dustuyfiski, tarjamet: Jamel Nassef al takriti, morajet Hayat Sharara, Baghdad , aldar albeda', 1986A.D
- Bakhteen, Mekhaeel, alkalemah fe alrowya, tarjmet: Yousef Halak, Demashk, Syria, manshorat wezaret althakafh 1988

- Brens, Jerald, almostalah alsardi , tarjamet: Abed Khzndar, morajet wa takdem: Mouhammad Brbari, almajles al'ala lilthkafa, 2003A.D
- Laland, andreh, mawsoet Laland alfalsafeh, tareeb: Khalel Ahmad Khalel, ashrafa aleh: Ahmad Ewedat, Beruit, Paris, manshorat Ewedat, 2001A.D

MAGAZINES

- Al Dyoub, Sammar, alhjaj fe baet Essmael bn Yasar alnesae, majalet fasel alkhtab,jamet mawlood ma'amari, Tyzi wzo, al Jazaer, 201 A.D

إدراك وإنتاج طلاب اللغة الإنكليزية في جامعة حمص للتغيرات التي تطرأ على الوحدات الصوتية

جامعة حمص– قسم اللغة الإنكليزية– شعبة الدراسات اللغوية

إعداد الطالبة: عائشة الحلاق إشراف الدكتور: موريس العمر

الملخص

يواجه متعلمو اللغة الإنكليزية بوصفها لغة أجنبية صعوبة كبيرة في تطوير مهارات التحدث بسبب ضعف قدرتهم على إدراك وتحليل التغيرات الصوتية عند سماعهم لها كما ينطقها المتحدثون الأصليون. وغالبًا ما يصعب على الطلاب نطق الكلمات بشكل صحيح، خاصةً تلك التي تحتوي على التغيرات الصوتية التي تطرأ على الوحدات الصوتية، وذلك نتيجة عدم تعرضهم الكافي للغة الإنكليزية كما ينطقها المتحدثون الأصليون، بالإضافة إلى تأثير لغتهم الأم على تعلمهم لهذه التغيرات. تتوجه الدراسة الحالية إلى دراسة جانبي الإدراك والنطق لهذه التغيرات الصوتية، حيث تم استخدام أداتين رئيسيتين في جمع البيانات: الأداة الأولى اختبار الإدراك الذي تضمن قياس قدرة ثلاثين طالبًا على فهم التغيرات الصوتية من خلال الاستماع إلى تسجيلات صوتية نطقها متحدثون أصليون. أما الأداة الثانية فكانت اختبار النطق الذي يقيّم قدرة الطلاب على إنتاج كلمات وعبارات تحتوي على هذه التغيرات. وأظهرت النتائج أن طلاب اللغة الإنكليزية في جامعة حمص يواجهون صعوبة كبيرة في إدراك التغيرات الصوتية، كما أنهم غير قادرين على إنتاج نطق دقيق يشابه نطق المتحدثين الأصليين عند لفظ كلمات تحوي هذه التغيرات. كما أكدت النتائج على أهمية السياق في إدراك الكلمات التي تحتوي على التغيرات الصوتية، وكذلك على دور التعرض المسبق لنطق المتحدثين الأصليين في تحسين القدرة على إنتاج هذه التغيرات. وعلاوة على ذلك، تبين وجود علاقة قوية بين إدراك التغيرات الصوتية وإنتاجها. بناءً على هذه النتائج، وختاما تم اقتراح عدد من التوصيات التي من شأنها مساعدة الطلاب في تحسين قدرتهم على فهم وإنتاج التغيرات الصوتية في اللغة الإنكليزية.

الكلمات المفتاحية: التغيرات الصوتية، متعلمو الإنكليزية كلغة أجنبية، إدراك الكلام، النطق، مهارة الاستماع.

Perception and Production of Allophonic Variations by Students of English at Homs University

Department of English –Linguistic Studies

Prepared by: **Aicha Al-Hallak**

Supervisor: **Dr. Maurice Al-Omar**

Abstract

English as a Foreign Language learners encounter challenges in acquiring spoken English, largely due to their limited ability to perceive English produced by native speakers. They often struggle with producing many words, particularly those involving allophonic variations. Insufficient exposure to native speech, combined with interference from their first language, contributes to various errors in both the perception and production of allophones. This study affiliated to the field of phonetic perception and pronunciation, aims to investigate how English language students at Homs University perceive and produce allophonic variations. To achieve this, two main instruments were utilized. The first was a perception test designed to assess the ability of thirty students to recognize allophonic variations after listening to recordings by native speakers. The second was a production test, which evaluated the students' ability to

articulate words and phrases containing allophonic variations. The analysis of both tests provided insights into the students' areas of weakness and the possible causes behind their poor performance in both perceiving and producing these variations. The findings clearly indicate that the students struggle with recognizing allophonic variations and fail to produce native-like pronunciation when the words or phrases contain allophonic variations. Moreover, the results highlight the significance of contextual cues in accurate perception, and emphasize the role of frequent exposure to native speech in improving production. Notably, a strong correlation was found between the students' perceptual skills and their production abilities. The study concludes with several recommendations that aim to enhance learners' perception and production of English allophones.

Keywords: allophones, EFL learners, allophonic variation, flapping, speech perception, pronunciation, listening skill.

1. Introduction

Learning English can be a challenge for non-native speakers. To achieve success in understanding and producing spoken language, learners of English as a Foreign Language (henceforth, EFL) have to deal with the English phonological system including different units and segments, i.e. phonemes and allophones. They have to be aware of allophonic variations' presence. Learning allophones is an important step to master spoken English since it has an effective role in understanding native speech and producing native-like speech. Phonemes are articulated in different ways

according to the context. The different pronunciations of the same phoneme are called allophones. For instance, the phoneme /t/ may be pronounced as aspirated [t^h], unreleased [t˺], normal [t] or flap[ɾ]. Nevertheless, learners have to be aware that changing the pronunciation of the phoneme does not change the meaning of the word.

Learners who are not aware of allophonic variations' presence may not realize the different ways of producing the same word, and that normally leads to lexical confusion. They will not have a native-like pronunciation, and in most cases, their speech may be incomprehensible. EFL learners often struggle to perceive allophones due to challenges in understanding proper pronunciations. Scholars have linked the weak proficiency in Foreign Language (henceforth, FL) pronunciation to a number of reasons such as pedagogy, curriculum, and teachers. In Arab countries, EFL classes tend to neglect the importance of understanding English pronunciation due to the influence of traditional teaching methods like grammar-translation, which considers pronunciation irrelevant in EFL classes. As a result, minimal attention has been paid to pronunciation, spoken language, listening skills, and communicative abilities. Only in the recent years, some efforts were carried out to teach pronunciation in EFL courses, but the focus was mainly on production rather than perception (Mustafa, 2019).

In addition, the different ways of dealing with sounds between First Language (henceforth, L1) and FL can cause difficulty in understanding and producing allophonic variations by EFL learners since in Arabic there

are no phonological processes or variants that are quite similar to those in English. According to Al-Badri (2014), the variations in the pronunciation of the glottal stop between Arabic and English speakers can be explained by noting that in Received Pronunciation (henceforth, RP) and other English varieties, the glottal stop is considered an allophone, whereas in standard Arabic, it is a phoneme. It is only in some dialects of Arabic that the glottal stop is considered an allophone. In Arabic, the equivalent of the glottal stop is referred to as hamzat al qat'.

1.2 Significance of the Study

This study is important since it examines how the students of the English Department at Homs University perceive and produce spoken English, offering insights into their linguistic competence. It explores the challenges they face with allophonic variations and highlights how understanding these variations can improve their pronunciation and listening skills. The research also emphasizes the role of allophones in lexical processing and their impact on the clarity and comprehension of spoken English. This study addresses both perception and production across several allophonic variations offering a more comprehensive perspective.

1.3 Objectives of the Study

This study aims at examining whether the intended research sample (i.e., students of English at Homs University) can understand spoken English containing allophonic variations and if they can produce them correctly. It is an attempt to determine the relationship between perception and production as it attempts to identify the influence of students' perception on

their production and vice versa by detecting the correlation between perception and production of allophonic variations.

1.4 Research Questions

The research aims to answer the following questions:

1) Can students of English at Homs University perceive allophonic variations within a word or a phrase produced by native speakers of English?

2) Can they accurately produce allophonic variations?

3) Is there a correlation between the perception of allophonic variations and its production?

1.5 Limitations of the Study

This study is limited to fourth-year students of English at Homs University, as they have completed coursework in phonology and phonetics and are more familiar with allophonic variations. It specifically examines certain English allophones such as flapping, aspiration, glottalization, nasal flap, assimilation, /l/ variants, and palatalization.

2. Literature Review

2.1 Introduction

This section introduces a brief review of concepts and processes that are relevant to allophonic variations' perception and production, and it focuses on specific studies on allophonic variations.

2.2 Allophone and Phoneme

Cruttenden (2008, p. 41) defines the term phoneme as "the smallest contrastive linguistic unit which may bring about a change of meaning. Indeed, the word 'contrast' is regularly used in linguistics to indicate a change of meaning". Allophones, however, as defined by Shea (2010, p.1), are some segments that "are used as variants of a single phoneme".

2.3 Variation

Allophonic variation depends on the position of the sound in the word or the sentence. The variant is produced spontaneously by speakers. As Cruttenden (2008, p.78) explains, "Where variation within phonemes is concerned, most speakers are unaware of their own changing speech patterns". It is well known that the main English accents are American, British, and Australian. Some variants are connected to a specific accent. For instance, flap/ r/ as a variant of /t/ sound is connected to American accent.

2.4 Connected Speech Processes

A connected speech process (CSP) may lead to changes in sound quality. Alameen & Levis (2015, p.1) states "The pronunciation of words in

connected speech may leave vowel and consonant sounds relatively intact, as in some types of linking, or connected speech may result in modifications to pronunciation that are quite dramatic, including deletions, additions, or changes of sounds into other sounds, or combinations of all three in a given word in context". Here are some CSPs that related to this research work.

2.4.1 Palatalization

Palatalization is a modification to consonant's articulation. In some languages, such as, Russian, palatalization is phonemic while in some other languages is morphophonemic. However, in English palatalization is allophonic. Before front vowels, phonemes palatalize allophones in specific contexts. Zsiga (1994, p.67) states that "in American English, alveolar obstruents (/t, d, s, z/) become palatoalveolars (tʃ, dʒ, ʃʒ) before the (palatal) glide /j/. Palatalization is obligatory at the lexical level, as illustrated by pairs such as habit / habitual, grade / gradual, confess / confession, and please /pleasure. Palatalization also appears to apply, optionally, at the post-lexical level, as in the phrases hit you, made you, press your point, and please yourself".

2.4.2 Assimilation

In an assimilation processes, a sound changes to become similar to a nearby sound. This process occurs within a single word or between two words. McMahon (2002,p.4) states that "processes of assimilation like this

involve two sounds close together in a word becoming closer together in terms of pronunciation, making life easier for the speaker by reducing vocal tract gymnastics. Assimilation is an everyday occurrence in every human language; and it is particularly common for nasal sounds".

2.4.3 Flapping (Flap [ɾ])

The use of the alveolar flap [ɾ] is a key feature of American English pronunciation. Picard (1997) notes that Alveolar oral and nasal stops are undergoing a process called flapping or tapping in certain well-defined environments for some varieties of English, including the majority of North American dialects.

2.4.4 Glottalization

Glottal stop or glottal plosive refers to the sound that is produced by the glottis. Glottalization is a process in which "the glottis may be held tightly closed, with the lung air pent up below it. This 'glottal stop' [ʔ] frequently occurs in English, e.g., when it precedes the energetic articulation of a vowel as in apple [ʔ] or when it reinforces /p, t, k/ as in clock [ʔ] or even replaces them, as in cotton [ʔ]" (Cruttenden, 2008, p.9).

2.5 Variants of /t/

Hung (2014, p. 27) discusses the allophonic variations of the English phoneme /t/, noting that its articulation changes depending on its position within a word. The plosive /t/ can appear at the beginning (initial position), in the middle (medial position), or at the end (final position) of a word. He also highlights differences between British and American pronunciations of /t/. To clarify the distinction between British and American pronunciation of /t/, Hung (2014, p. 27) notes: "For example, in BBC pronunciation, we find the following: hit, set .Those with the American accent may say turn /t/ into /d/ when it in final position".

2.6 Aspiration

Aspiration typically occurs in voiceless stops such as /p/, /t/, and /k/ when they appear at the beginning of a stressed syllable. McMahon (2002) simplifies the understanding of the aspiration process when he suggests that in order to observe aspiration, hold a sheet of paper in front of your mouth by its lower edge, allowing the upper part to move freely. Then, pronounce the words *Paul*, *tall*, and *call*. You will notice a slight puff of air released after the initial sounds /p/, /t/, and /k/, which causes the paper to move. This is known as aspiration and is represented in IPA transcription with a superscript [ʰ] following the consonant symbol.

2.7 Variants of /l/

The English phoneme /l/ is commonly categorized into two allophones: the clear (light) /l/, which occurs in syllable-initial positions, and the dark [ɫ], which typically appears in syllable-final positions (Ladefoged & Johnson,

2014). The difference between the dark [ɬ] and clear /l/ lies in their place of articulation, as "the clear and dark /l/s exhibit different sequence and magnitude concerning the tongue tip and tongue dorsum" (Nagamine, 2022, p. 644).

2.8 Previous Studies on Allophonic Variations

A number of research works have been conducted to study production and perception of allophonic variations. Shea (2010) explores how learners acquire allophonic variations through a series of perception and production experiments. The study investigates whether learners can associate specific allophones with their appropriate phonological contexts and how language experience affects this ability. Results show that learners gradually learn to track the distribution of allophones and link them to their phonological environments. Additionally, learners appear to store detailed phonetic information and use it more effectively as they gain experience. The study emphasizes the importance of recognizing context in allophone acquisition and highlights the interaction between perception, production, and experience. It is related to the current study in its dual focus on perception and production of allophonic variation.

Several studies have been conducted by Syed to examine how Pakistani learners acquire allophones of English. Syed (2014) explores the impact of a learner's first language (hence, L1) laryngeal features on their ability to acquire allophonic differences in English plosives. It focuses on how aspects such as voice onset time (hence, VOT) and aspiration in English are shaped by the phonetic characteristics of the learner's native language.

The findings indicate that these L1 laryngeal contrasts significantly influence how second language learners produce and perceive English plosive sounds. The researcher employs an experimental design, utilizing acoustic analyses to compare the VOT of plosives produced by participants who are adult Pakistani learners of English, with a focus on those whose L1 exhibited laryngeal contrasts. The findings indicate that the presence or absence of laryngeal contrasts in the L1 significantly influenced the learners' acquisition of English plosive allophones. Learners whose L1 lacks such contrasts face challenges in acquiring the English aspiration contrast, leading to deviations from native-like pronunciation.

However, Syed's (2015) subsequent study centers on how second language learners acquire allophonic variation in English lateral sounds. It examines the influence of the phonetic system of the learners' L1 on their ability to recognize and produce different forms of the English /l/ sound. The results show that L1 phonetic patterns have a strong effect on learning English lateral allophones, as learners frequently apply articulatory habits from their native language when speaking English. This study utilizes both perceptual and production tasks to assess the learners' ability to perceive and produce allophonic variations of English lateral sounds. Acoustic analyses are also conducted to examine the phonetic realizations of these sounds. The participants are adult Pakistani learners of English, specifically focusing on those whose L1 exhibited lateral sounds with distinct allophonic variations. The findings indicate that learners' L1 lateral allophonic patterns influences their perception and production of English lateral allophones. Learners whose L1 had more complex lateral allophones demonstrated

greater sensitivity to English lateral variations, leading to more accurate production. Conversely, those with simpler L1 lateral systems exhibited more pronounced deviations from native English lateral pronunciation. These studies are relevant to the current study as they explore perception and production of allophonic variations in English.

A study conducted by Viebahn and Luce (2018) explores how increased exposure and phonetic context influence the recognition of words produced with nasal flaps in American English. It focuses on listeners' ability to adapt to allophonic variation, particularly flapped variant. Two experiments were conducted: the first tested whether increased exposure alone helps with recognition, showing improvement over time among sixty native English speakers. The second experiment involved forty-eight participants and tested recognition in different phonetic contexts, revealing that words with flapped variants are recognized more quickly in casually spoken sentences than in carefully spoken ones. The study concludes that nasal flap variants, especially the flap /ɾ/, remain challenging even for native speakers to perceive accurately.

Mustafa (2019) investigates how Arab EFL learners perceive and produce the American English allophonic variant /ɾ/ (flapping). The study includes 119 participants taught by non-native English-speaking teachers and uses three experimental tests, each with versions containing flapped and non-flapped words, along with informal interviews. A reading test with flapped words is used to assess production. Results from a paired t-test show that participants struggle to perceive flapping and that there is a positive

correlation between perception and production of the /ɾ/ variant. The study highlights the challenges Arab learners face with allophonic variations and emphasizes the importance of perception for accurate pronunciation.

Finally, Tišma (2019) examines how Serbian EFL learners perceive and produce various English allophonic variations such as tapping, l-velarization, syllabicity, aspiration, and glottal stopping, highlighting their importance for native-like pronunciation. The study involves 35 second-year English majors selected based on their performance on a mid-term test focused on allophones and connected speech. Tišma (2019) conducts both perception and production tasks, testing seven types of allophones using different sentences for each task. The findings reveal that learners performed better in perception than in production. The study also explores the relationship between perception and production, making it relevant to the current research.

3. Methodology and Data Collection

This section outlines the methodology adopted in this research, including the instrument, the sample, the items, and the procedure.

3.1 The Instrument

I designed two original tests to assess students' ability to perceive and produce allophonic variation: a perception test and a production test. The perception test evaluated participants' ability to identify allophonic

variations, while the production test assessed their accuracy in producing these variations.

3.2 The Sample

The perception and production tests were administered to 30 fourth-year students of English at Homs University. Participants were selected randomly, with no consideration given to gender or academic performance.

3.3 Material

3.3.1 The Perception Test Items

Twelve audio files were prepared for the perception test, featuring phrases and sentences produced naturally (at a normal speaking rate) by a native English speaker. The test included two lists: one with target words and phrases in isolation, and another with the same items embedded in context. The audio content was selected from authentic English sources (documentaries, talk shows, and news clips) using YouGlish website. A written list accompanied the audio, organized into 12 categories. Each representing one audio file. For each item, participants chose between a correct and incorrect pronunciation. The test targeted various allophonic processes, including flapping (within words and phrases), aspiration, glottalization (medial and final), nasal flap, assimilation (progressive and regressive), /l/ allophones (clear and dark), and palatalization (within words and phrases).

3.3.2 The Production Test Items

Two lists were prepared for the production test. The first list was presented in written form along with an audio file to assess students' ability to produce allophonic variations after exposure. The second list included different lexical items but maintained the same allophonic processes (flapping, aspiration, glottalization, nasal flap, assimilation, dark [ɬ], clear /l/, and palatalization) in the same sequence to examine students' ability to produce allophonic variations without exposure.

3.4 Procedure

3.4.1 Perception Test Procedure

Thirty students were informed about the purpose of the perception test and agreed to participate voluntarily. After receiving instructions, each was given a paper with two word lists and asked to listen to an audio recording. While listening, they underlined the words or phrases they recognized. The test was conducted over five days, with six students per day, due to time constraints. Each participant used my mobile phone in a quiet classroom to ensure clear audio.

3.4.2 Production Test Procedure

Participants were given two written lists for the production test. First, they listened to an audio of the first list, read by native speakers, while reading along with the written version. This helped assess the perception–production link, as the list matched that used in the perception test.

After recording the first list, they were asked to read the second list without prior audio exposure, allowing comparison between production with and

without exposure to native input. Recordings were done individually in a quiet classroom using my mobile phone to ensure clear audio. Data collection took place over five days, with six participants per day.

4. Results and Discussion

This section presents the participants' performance in both perception and production tests, assessing their familiarity with the target words and phrases those with allophonic variations. The results of the two tests are analyzed and displayed through illustrative tables, followed by a detailed discussion. A quantitative approach was employed, with participants' responses statistically analyzed using the Formula Bot program. Descriptive statistics were used to calculate the percentages of correct and incorrect responses in each category.

Perception and production scores were compared using a Student's t-test via the DATAtab program. The same software was employed to assess the significance of correlation coefficients, examining the relationship between the two tests. The participants' speech production was compared to that of native speakers. I conducted a subjective analysis of the recordings by listening to and assessing their performance. This approach aligns with previous research, including studies by Bradlow (2015), Bin Hussein (2022), and Barzilai (2023), which examined the perception and production of allophonic variations through auditory evaluation rather than using speech analysis tools such as Praat.

It is important to note that the following data analysis procedures were applied exclusively to the results of the main study. The results of the pilot study, which involved a limited sample of ten fourth-year students, are reported separately (see **Appendix IV**) and were not included in the main analysis. The pilot study was conducted to assess the reliability of the research instruments.

4.1 Perception Test Analysis

4.1.1 First List (words and phrases with allophonic variations in isolation)

Table (1) and Figure (1) present the twelve categories in the first test list. Table (1) shows each category's name, the total number of participants, the numbers and percentages of correct and incorrect responses. The first five categories represent /t/ variants (word-level flapping, phrase-level flapping, nasal flap, and glottalization in medial and final positions), while the remaining seven cover other allophonic processes: aspiration, progressive and regressive assimilation, light /l/, dark [ɬ], and palatalization within words and phrases.

The most challenging categories were word-level flapping, nasal flap, and phrase-level palatalization, each with a 100% error rate. These were followed by final-position glottal stop (90%) and medial glottal stop (86.67%). Phrase-level flapping and dark [ɬ] showed 66.67% errors, while word-level palatalization had 63.33%, and aspiration 53.33%. In contrast,

light /l/ (16.67%), regressive assimilation (13.33%), and progressive assimilation (10%) had the lowest error rates.

Categories	The total number of the participants	The number of correct answers	The percentage of correct answers	The number of wrong answers	The percentage of correct answers
1.Flapping within a word	30	0	0%	30	100%
2.Flapping within a phrase	30	10	33.33%	20	66.67%
3.Nasal flap	30	0	0%	30	100%
4.Glottalization medial	30	4	13.33%	26	86.67%
5.Glottalization final	30	3	10%	27	90%
6.Aspiration	30	14	46.67%	16	53.33%
7. Progressive Assimilation	30	27	90%	3	10%
8. Regressive Assimilation	30	26	86.67%	4	13.33%
9. Light/l/	30	25	83.33%	5	16.67%
10. Dark[ɬ]	30	10	33.33%	20	66.67%
11. Palatalization within a word	30	11	36.67%	19	63.33%
12. Palatalization within a phrase	30	0	0%	30	100%

Table (1) the first list of Perception test

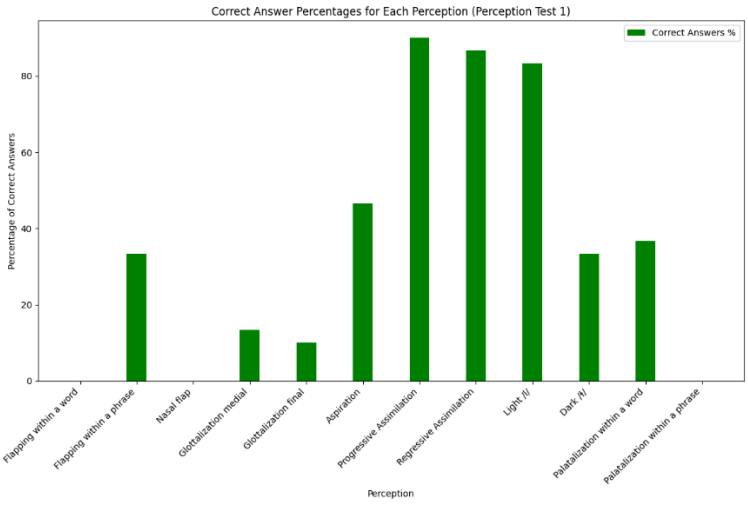

Figure 1. Column chart illustrating the percentage of correct answers of perception test

4.1.2 Second List (words and phrases with allophonic variation in context)

Table (2) and Figure (2) present the twelve categories from the second test list, showing the percentages of correct and incorrect responses for each allophonic variation (as detailed in 4.2.1). Overall performance improved when words and phrases appeared in context. The most difficult category was palatalization within a phrase (93.33% error), followed by nasal flap (90%) and flapping within a word (80%). Glottalization in final and medial positions also showed high error rates (70% and 63.33%, respectively). Errors declined in categories like dark [ɬ] (53.33%), palatalization within a word (50%), flapping within a phrase (50%), and clear /l/ (40%). Aspiration showed moderate difficulty (36.67%), while progressive assimilation (13.33%) and regressive assimilation (10%) were the least challenging.

Categories	The total number of the participants	The number of correct answers	The percentage of correct answers	The number of wrong answers	The percentage of wrong answers
1.Flapping within a word	30	6	20%	24	80%
2.Flapping within a phrase	30	15	50%	15	50%
3.Nasal flap	30	3	10%	27	90%
4.Glottalization medial	30	11	36.67%	19	63.33%
5.Glottalization final	30	9	30%	21	70%
6.Aspiration	30	19	63.33%	11	36.67%
7. Progressive assimilation	30	26	86.67%	4	13.33%
8. Regressive assimilation	30	27	90%	3	10%
9. Light/l/	30	18	60%	12	40%
10. Dark[ɬ]	30	14	46.67%	16	53.33%
11. Palatalization within a word	30	15	50%	15	50%
12. Palatalization within a phrase	30	2	6.67%	28	93.33%

Table 2. The second list of perception test

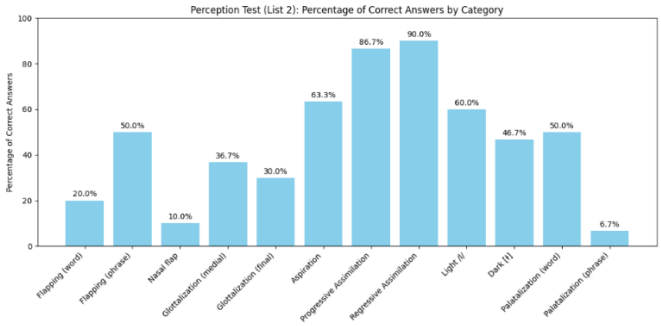

Figure 2. The second list of perception

A paired-sample t-test was conducted to determine whether there was a significant difference in the perception of allophonic variations in isolation versus in context. The t-test revealed no statistically significant difference between the two lists (isolation vs. context), as the p-value (0.19) is greater than the common alpha level of 0.05, indicating failure to reject the null hypothesis. However, the mean difference indicates improved accuracy when allophonic variations were presented in context, compared to when they appeared in isolation.

4.2 Discussion of the Perception Test

In the first list, students found phrase-level flapping easier to perceive than word-level flapping, while glottalization was more challenging, and all participants failed to recognize the nasal flap. In the second list, /t/ variants were perceived more accurately, suggesting that context aided recognition. Aspiration, clear /l/, and dark [ɬ] scored higher than /t/ variants in both lists. Assimilation showed the highest scores overall, likely due to its familiarity across languages. For example, participants had no difficulty perceiving the assimilation in *information* ([ɪmfəmeɪʃən]), as it sounded natural. Thus, assimilation was the easiest variant to identify in both lists.

When comparing the two lists, it is found that the second list scores higher than the first list. This emphasizes the importance of the context and its effect on the perception of allophonic variations. For instance, in the audio, the word 'weighted' is produced in American accent (with the allophonic variant flapped/t/). The context was very important to help some students understand the words contained allophonic variations and avoid confusion.

The results revealed that even after audio exposure and contextual support, participants continued to struggle with certain variants particularly palatalized variants, flapped variants, and glottal stop that scored lower than others. This difficulty stems from their reliance on the adapted English typically used in EFL classrooms and limited awareness of distinctions between phoneme allophone. As Brown (1990) notes, L2 learners must learn to make informed guesses using contextual cues and adjust their interpretation dynamically much like native speakers do during real-time listening.

4.3 Production Test Analysis

Tables (4) and (5), along with Figures (4) and (5), present the twelve production categories, showing participant totals and the percentage of correct and incorrect pronunciations for both test lists. In the first list, several categories—including flapping within a word, final-position glottalization, aspiration, regressive assimilation, and dark [ɬ]—had 0% correct production, while progressive assimilation recorded the highest accuracy at 83.33%. Similarly, in the second list, progressive assimilation remained the most accurately produced variant (83.33%), whereas nine

categories, including various flapping, aspiration, and palatalization forms, showed 0% accuracy.

Categories of allophonic variations	The total number of the participants	The number of correct answers	The percentage of correct answers	The number of wrong answers	The percentage of correct answers
1.Flapping within a word	30	0	0%	30	100%
2.Flapping within a phrase	30	3	10%	27	90%
3.Nasal flap	30	6	20%	24	80%
4.Glottalization medial	30	4	13.33%	26	86.67%
5.Glottalization final	30	0	0%	30	100%
6.Aspiration	30	0	0%	30	100%
7. Progressive assimilation	30	25	83.33%	5	16.67%
8. Regressive assimilation	30	0	0%	30	100%
9. Light/l/	30	22	73.33%	8	26.57%
10. Dark[ɬ]	30	0	0%	30	100%
11. Palatalization within a word	30	4	13.33%	26	86.67%
12. Palatalization within a phrase	30	0	0%	30	100%

Table 4. The first list of the production test

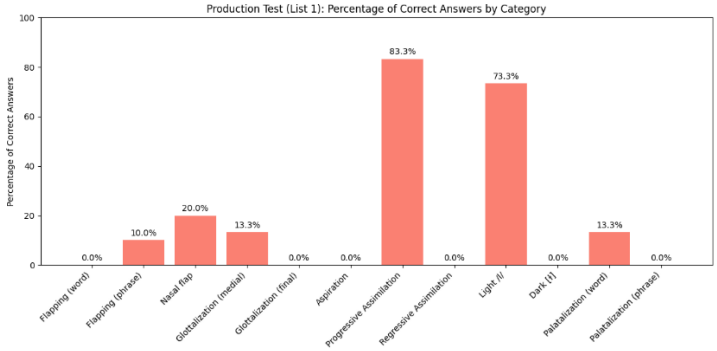

Figure 5. Percentage of correct answers in the first list of production test

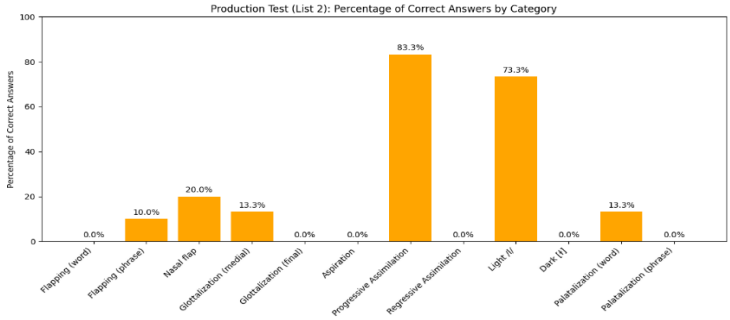

Figure 6. Percentage of correct answers in the second list of production test

To determine whether there was a difference between the first list (production after exposure) and the second list (production without exposure), a paired-samples t-test was conducted to compare participants' ability to produce allophonic variations in both conditions.

The t-test revealed a statistically significant difference between the two production lists since the p-value (0.024) is less than the typical significance level of 0.05. The null hypothesis was rejected. There was a statistically significant difference between students' scores in the first list and the second list of production test. This indicates that students performed significantly better in producing allophonic variations after exposure compared to without exposure.

4.4 Production Test Discussion

Students at the English Department at Homs University face noticeable challenges in producing certain allophonic variants, mainly due to negative L1 interference. Many of these variants, such as dark [ɬ] and aspiration, are absent in Syrian Arabic. As a result, all participants mispronounced

dark [ɬ] as clear /l/ or laam, and replaced aspirated /p/ with /b/, reflecting a transfer of L1 phonological features into L2 production. Another contributing factor is the students' limited listening and speaking skills, which hinder accurate reproduction of these variants. Mustafa (2019) notes that learners who struggle with recognizing and producing allophonic variations tend to be inactive in language use, rarely engage with English outside the classroom, and show low motivation to improve their pronunciation or speaking skills.

Notably, participants were more successful in producing allophonic variations in familiar words. For example, after exposure, four participants correctly produced *forgotten* [forgʔen], while none produced *kitten* [ˈkɪʔn] with a glottal stop, as it was unfamiliar. These findings highlight the role of exposure in developing native-like pronunciation.

4.5 Perception-Production Link

In this section the research question (Is there a correlation between perception and production?) will be answered. I used a Pearson correlation coefficient to find the correlation between the perception of allophonic variations and their production. After combining the two lists for each test (perception and production), the correlation was computed. The Pearson correlation coefficient of 0.8391 indicated a strong positive correlation between the perception and production tests. This suggests that as the performance on one test increases, the performance on the other test tends

to increase as well. The p-value of $6.95e{-}09$ is much smaller than 0.05, indicating that the correlation is statistically significant.

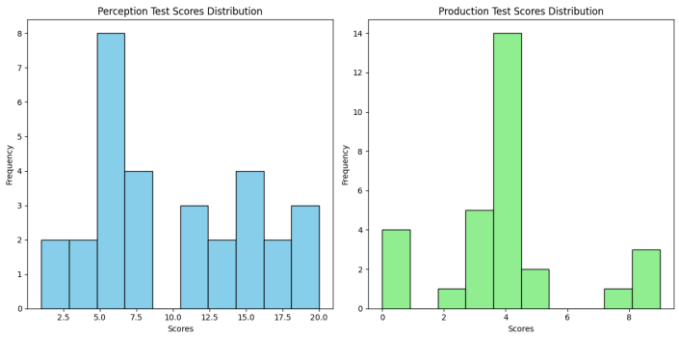

Figure 7. The difference between perception and production tests' scores

When comparing perception and production scores, the perception test scored higher. The findings of the current study align with previous research, showing consistent results across both tests. Tišma (2019) notes that it is expected to find perception scores higher than production, as perception generally precedes production. Moreover, Alshangiti (2015) reported a strong correlation between perception and production among EFL learners. Also, Mustafa (2019, p.134) found that "there was a positive correlation between the perception of flapping scores and the degree of its production by the participants". Additionally, Derwing and Munro (2005) emphasized the importance of the perception–production link, arguing that perception significantly influences production and that a strong correlation exists between the two. In contrast, Almbark (2010) argued that accurate

perception does not always result in accurate production. Similarly, Buali (2010), studying EFL learners' perception and production of /p/, also reported a weak relationship between the two.

5. Pedagogical Implications

Based on the findings of this study, several recommendations are proposed to enhance the performance of Syrian students of English:

1. Students need greater awareness of the distinction between phonemes and allophones. Phonological transcription practice can improve their pronunciation accuracy and reduce difficulties in spoken English learning.
2. Understanding allophones theoretically is insufficient for recognizing them in natural native speech. Learners should be trained to sharpen their listening skills and become more aware of the presence of allophonic variations.
3. The Syrian curriculum should focus on developing students' perception and production abilities by incorporating regular exposure to native speakers and speaking practice within phonetics courses. Additionally, listening and speaking skills should be formally assessed in exams. Mustafa (2019) stresses the importance of using authentic native speech in phonology lessons while guiding students to identify and reproduce allophones, thereby raising their awareness of phoneme variations.

4. English teachers in Syria should aim to maintain a native-like accent to be as effective pronunciation models for their students.
5. Since EFL learners benefit from practicing allophone pronunciation by imitating native speakers, the use of shadowing technique in classrooms can facilitate producing a more native-like accent.
6. Students should be encouraged to regularly listen to authentic English content produced by native speakers.
7. Watching subtitled English materials such as documentaries, TV shows, or movies on platforms like YouTube or YouGlish can help learners connect written and spoken language, thereby enhancing both their perception and production skills.

6. Recommendations for Further Research

This study may be conducted at English departments at other Syrian universities to validate the findings across a broader range of academic contexts. While the current study focused on specific allophones such as the flapped /t/, aspirated sounds, glottal stop, nasal flap, assimilated variants, allophones of /l/ (dark [ɬ] and clear /l/), and palatalized variants, further research could explore additional types, such as devoiced allophones. Moreover, future studies could investigate the causes of misperception and mispronunciation of these variants, including how perception difficulties may lead to specific verbal errors.

References

Alameen, G., & Levis, J. (2015). Connected speech. In M. Reed & J. Levis (Eds.), *The handbook of English pronunciation* (pp. 157–173). Oxford, UK: Wiley-Blackwell.

Al-Badri, M. (2014). *Glottal stop in R.P English and Standard Arabic with reference to some other varieties* Retrieved from http://dx.doi.org/10.13140/RG.2.2.17501.64480/2

Almbark, R. (2012). The perception and production of SSBE vowels by Syrian Arabic learners: The foreign language model (Doctoral dissertation, University of York).

Alshangiti, W. M. M. (2015). Speech production and perception in adult Arabic learners of English: A comparative study of the role of production and perception training in the acquisition of British English vowels (Doctoral dissertation, University College London).

Anderson-Hsieh, J., Johnson, R., & Koehler, K. (1992). The relationship between native speaker judgments of nonnative pronunciation and deviance in segmentals, prosody, and syllable structure. *Language Learning, 42*(4), 529–555.

Barzilai, M. (2023). *Perception vs. production of L2 phonology: A case study of Arabic /a/ allophony and its acquisition by native English speakers* (Bachelor's thesis, Middlebury College). Middlebury College Student Scholarship.

Bin Hussein, A. (2022). *Perception of American English allophonic variant /r/ by Arabic speakers in an EFL context*. 3L: Language, Linguistics, Literature, 28(2), 205–216.

Bradlow, A. R., Toretta, G. M., & Pisoni, D. B. (2015). Individual differences in phonetic cue use in production and perception of a non-native sound contrast. *The Journal of the Acoustical Society of America*, 138(2), EL125–EL130.

Brown, G. (1990). *Listening to spoken English* (2nd ed.). London: Longman.

Buali, I. (2010). The perception and production of /p/ in Saudi Gulf Arabic English: A variationist perspective. *MA thesis, Concordia University, Montréal, Québec, Canada*.

Cruttenden, A. (2008). *Gimson's pronunciation of English* (7th ed.). London: Routledge.

Derwing, T. M., & Munro, M. J. (2005). Second language accent and pronunciation teaching: A research-based approach. In J. Levis (Ed.), *Teaching pronunciation: A reference for teachers of English to speakers of other languages* (pp. 379-397).

Hung, B. P. (2014). Variants of the phoneme /t/ in English. *International Journal on Studies in English Language and Literature, 2*(12), 27-29.

Ladefoged, P., & Johnson, K. (2014). *A course in phonetics* (7th ed.). Boston, MA: Cengage Learning.

McMahon, A. M. (2002). *An introduction to English phonology* (Vol. 22). Edinburgh: Edinburgh University Press.

Mustafa, A. (2019). Perception of American English allophonic variant /ɾ/ by Arabic speakers in an EFL context. *3L: Southeast Asian Journal of English Language Studies, 25*(2), 127 – 142.

Nagamine, T. (2022). Acquisition of allophonic variation in second language speech: An acoustic and articulatory study of English laterals by Japanese speakers. In *INTERSPEECH* (pp. 644-648).

Picard, M. (1997). English Flapping and the feature [vibrant]. *English Language & Linguistics*, *1*(2), 285-294.

Shea, C. E. (2010). Allophone acquisition: exploring the phonological system and the nature of representations.

Syed, N. A. (2014). Influence of L1 laryngeal contrast on acquisition of allophonic Variance in English plosives. *LASBELA UNIVERSITY OF AGRICULTURE, WATER AND MARINE SCIENCES*.

Syed, N. A. (2015). Learning Allophonic Variance of English Laterals. *EFL Annual Research Journal*, *17*, 107-124.

Tišma, D. J. (2019). *On the perception and production of allophones by Serbian EFL learners* (Master's thesis). University of Niš. Retrieved on 2nd May, 2024 from https://www.researchgate.net/publication/343392508_On_the_Perception_and_Production_of_Allophones_by_Serbian_EFL_Learners

Viebahn, M. C., & Luce, P. A. (2018). Increased exposure and phonetic context help listeners recognize allophonic variants. *Attention, Perception, & Psychophysics*, *80*, 1539–1558.

Zsiga, E. C., Connell, B., & Arvaniti, A. (1994). An acoustic and electropalatographic study of lexical and post-lexical palatalization in American English. *Haskins Laboratories Status Report on Speech Research No. SR-117/118*, 67–79.

Appendices

Appendix I

Perception test items

I The First list of the perception test

Please listen to the audio then choose the word which you heard:

1. a) Weighted b) waded

2. a) get up b) ger up

3. a) sinner b) center

4. a) Forgotten b) Forgoen

5. a) lay b) Late

6. a) phik b) pick

7. a) bagz b) bags

8. a) information b) imformation

9. a) white b) light

10. a) hope b) help

11. a) bless you b) blesh you

12. a) chree b) tree

II. The second list of the perception test

Please listen to the audio then choose the right word which stands for the word you heard in the context:

1. A massive ––––––––net is dragged along the seafloor.

a) weighted b) waded

2. We have got to ------- within 35 feet of the vehicle.

a) get up b) ger up

3. We lost eleven employees who worked in the world trade ----------

.

a) sinner b) center

4. You 've ---------heading one on this page.

a) Forgotten b) Forgoen

5. It is based upon --------Roman types of helmet.

a) Lay b) Late

6. You------ a handful of them.

a) phik b) pick

7. We are going to place it into the------ that are provided.

a) bagz b) bags

8. Giving us--------about when they were diagnosed

a) information b) imformation

9. They had developed a special low–––––––.

a) white b) light

10. We need ––––––– in calming down at key moments.

a) hope b) help

11. Bits of ––––––, old blankets, plastic sheeting.

a) chree b) tree

12. With joyful hearts and minds we–––––– for your mercy.

a) bless you b) blesh you

Appendix II

Production test items

I The First list of the production test

Please listen to the audio then read the following words and phrases

1. Weighted: [ˈweɪrəd].

2. Get up: [gerəp].

3. Center: [ˈsɪr̃ə].

4. Forgotten: [forgʔen].

5. Late: [leʔ]

6. Pick: /pʰɪk/

7. Bags: [bæg**z**].

8. Information: [ɪ**m**fəmeɪʃən]

9. *Light* /laɪt/

10. Help: [heɬp].

11. Tree: [t ʃri:].

12. Bless you:[bleʃyou].

Appendix III

II **The second list of the production test**

Please read the following words and phrases

1. Butter [ˈbʌɾə˞]

2. I got it [aɪ ga: ɾ̃ɪt]

3. Twenty [ˈtwɛ̰ɾ̃i]

4. Kitten [ˈkɪʔn]

5. Right: [raɪʔ]

6. Keel /kʰiːl]

7. Legs /legz/→ [legz]

8. Ten points /tɛn pɔɪnts/ → [tɛmpɔɪnts]

9. Live [lɪv]

10. Real [riːəɬ]

11. Education [edʒəˈkeɪʃən]

12. Let you [letʃ ju]

Appendix IV

In Appendix IV, the results of the pilot study of the two tests (test of perception and the test of production) are given. Moreover, since the pilot study was only preliminary, the test items were not scored for assessment, not least because the data of the pilot study are practically insufficient to carry out detailed analysis. Credible comparison between the performances of different tests requires a large sample. The following tables (from 1 to 4) illustrate the performance of the respondents in the pilot study. In the first table, the responses to the first list of perception are given. The numbers of correct and wrong pronunciations of the first list and second list of production are reported in third and fourth tables.

Categories	The total number of the participants	The number of correct answers	The number of wrong answers
1.Flapping within a word	10	0	10
2.Flapping within a phrase	10	2	8
3.Nasal flap	10	0	10
4.Glottalization medial	10	1	9
5.Glottalization final	10	1	9
6.Aspiration	10	4	6
7. Progressive assimilation	10	8	2
8. Regressive assimilation	10	7	3
9. Light/l/	10	8	2
10. Dark[ɬ]	10	5	5
11. Palatalization within a word	10	3	7
12. Palatalization within a phrase	10	0	10

Table 1. The first list of perception test

Categories	The total number of the participants	The number of correct answers	The number of wrong answers
1.Flapping within a word	10	3	7
2.Flapping within a phrase	10	5	5
3.Nasal flap	10	1	9
4.Glottalization medial	10	3	7
5.Glottalization final	10	2	8
6.Aspiration	10	4	6
7. Progressive assimilation	10	7	3
8. Regressive assimilation	10	6	4
9. Light/l/	10	8	2
10. Dark[ɬ]	10	4	6
11. Palatalization within a word	10	5	5
12. Palatalization within a phrase	10	1	9

Table2.The second list of perception test

Categories	The total number of the participants	The number of correct pronunciations	The number of wrong pronunciations
1.Flapping within a word	10	0	10
2.Flapping within a phrase	10	1	9
3.Nasal flap	10	3	7
4.Glottalization medial	10	1	9
5.Glottalization final	10	0	10
6.Aspiration	10	0	10
7. Progressive assimilation	10	7	3
8. Regressive assimilation	10	0	10
9. Light/l/	10	6	4
10. Dark[ɬ]	10	0	10
11. Palatalization within a word	10	2	8
12. Palatalization within a phrase	10	0	10

Table 3.The first list of production test

Categories	The total number of the participants	The number of correct pronunciations	The number of wrong pronunciations
1.Flapping within a word	10	0	10
2.Flapping within a phrase	10	0	10
3.Nasal flap	10	0	10
4.Glottalization medial	10	0	10
5.Glottalization final	10	0	10
6.Aspiration	10	0	10
7. Progressive assimilation	10	8	2
8. Regressive assimilation	10	1	9
9. Light/l/	10	2	8
10. Dark[ɬ]	10	0	10
11. Palatalization within a word	10	0	10
12. Palatalization within a phrase	10	0	10

Table 4.The second list of production test

Consciousness-Raising of Discourse Markers and Its Effect on EFL Writing Competency

Prepared by: Amal Raad

Supervised by: Dr. Zafer Seiba

Abstract

This paper explores how consciousness-raising activities centered on discourse markers influence the academic writing skills of second-year female English majors at Idleb University. Using a qualitative methodology, the study employed close tests and analysis of written essays to examine changes in students' writing. Results indicated that these activities positively contributed to improving students' ability to use discourse markers effectively, leading to more coherent and structured academic writing. Based on these findings, the study recommends the integration of such activities into academic writing courses to enhance students' writing competence and discourse awareness.

Keywords: Discourse markers, consciousness-raising, academic writing, EFL learners, writing skills

رفع الوعي بأدوات الربط وتأثير ذلك على مهارة الكتابة لدى متعلمي اللغة الإنجليزية بوصفها لغة أجنبية

لطالبة الماجستير أمل رعد — المشرف: د. ظافر صبيعة

جامعة الشام العالمية — كلية الآداب والعلوم الإنسانية

ملخص الدراسة

تتناول هذه الدراسة تأثير أنشطة رفع مستوى التوعية التي تركز على أدوات الربط الخطابي في تحسين مهارات الكتابة الأكاديمية لدى طالبات السنة الثانية في قسم اللغة الإنجليزية بجامعة إدلب . وقد اعتمدت الدراسة المنهج النوعي، مستخدمة اختبارات مغلقة وتحليل المقالات الكتابية لتتبع التغيرات في أداء الطالبات .وأظهرت النتائج أن هذه الأنشطة ساهمت على نحو إيجابي في تعزيز قدرة الطالبات على استخدام أدوات الربط بفعالية، مما انعكس في كتابات أكثر ترابطًا وتنظيمًا . وبناءً على هذه النتائج، توصي الدراسة بإدماج هذه الأنشطة ضمن مقررات الكتابة الأكاديمية، لدعم كفاءة الطالبات الكتابية وزيادة وعيهن بالخطاب.

الكلمات المفتاحية :أدوات الربط الخطابي،، رفع الوعي، الكتابة الاكاديمية، متعلمو اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية، مهارات الكتابة.

1. Introduction:

1.1 Overview of Writing Challenges in EFL Contexts

Writing is often considered the most complex of the four major language skills in second or foreign language (L2) acquisition, largely due to the cognitive demands it places on learners (Bowen & Marks, 1994). These challenges are compounded when learners face cultural and linguistic discrepancies between their first language (L1) and English (Akef, 2007). In academic settings, especially in English as a Foreign Language (EFL) context, strong writing skills are essential. Academic writing follows specific rules regarding structure, coherence, cohesion, and clarity. Among the devices that contribute significantly to these features are Discourse Markers (DMs) such as however, but, although, and therefore. These markers help to organize ideas and enhance textual flow.

1.2 Research Problem and Significance

Evidence suggests that even advanced L2 learners underutilize or misuse DMs in their writing. This deficiency can reduce the quality and clarity of their texts. The study aims to investigate how second-year students at the English Literature Department of Idleb University use DMs in their academic essays. Specifically, it explores how consciousness-raising (CR) activities impact students' use of DMs and, by extension, improve the quality of their academic writing. So, L2 learners, despite years of study, still fail to use DMs effectively in their academic writing. There is limited research on the most effective pedagogical strategies for addressing this issue.

1.3 Research Aims:

The study sets out to:

1. Analyze the current use of DMs in students' essays.

2. Evaluate the impact of CR activities on improving students' discourse competence and writing quality.

The findings are expected to contribute to a better understanding of how explicit instruction in DMs can foster more coherent and effective academic writing among EFL learners. Furthermore, the study underscores the importance of developing pragmatic competence, which refers to the ability to express meaning appropriately and effectively in context (Fung & Carter, 2007).

1.4 Research Hypothesis and limitations

The study hypothesizes that *consciousness-raising activities targeting DMs will significantly enhance the academic writing skills of the students.*

Despite its focused approach, the study has several limitations. The small sample size limits the applicability of the results to broader populations. The qualitative nature of the study introduces a degree of researcher subjectivity, and its findings may be context-dependent. Due to gender-

segregated education systems in place, the study focuses exclusively on second-year female students. This context provides a focused environment but also introduces certain limitations regarding generalizability. Finally, time constraints may have affected the depth of data collection and analysis.

2. Literature Review

2.1 Discourse Markers and Their Functional Importance in Writing

Discourse markers are linguistic elements that function to signal logical or semantic connections between units of discourse. These elements include conjunctions, adverbial phrases, and fixed expressions that are used to indicate relationships such as cause-effect, contrast, addition, clarification, or conclusion. Originally, DMs were considered peripheral to grammatical structure, but their importance became evident through research conducted by Halliday and Hasan (1976), who emphasized their role in textual cohesion. Schiffrin (1987) later reinforced this view, framing DMs as tools for organizing discourse at both the sentence and broader textual levels.

In academic writing, DMs are critical in helping writers present their arguments logically and persuasively. They allow for the structuring of complex ideas into a coherent narrative that is accessible to the reader. When properly utilized, DMs enhance both the readability and persuasiveness of a text. Conversely, inadequate or incorrect use often results in fragmented, ambiguous, or illogical writing—a recurring issue among EFL learners.

2.3 Theoretical Perspectives and Linguistic Frameworks

The study of discourse markers has been approached from several linguistic and pragmatic perspectives. Schiffrin (1987) approached DMs as elements that ensure discourse coherence by linking various parts of speech and meaning. Fraser (1999) provided a contrasting interpretation, classifying DMs as pragmatic markers whose purpose is not to alter propositional content but to signal discourse relations.

Within the framework of Relevance Theory proposed by Sperber and Wilson (1986), Blakemore (1987) contends that DMs function procedurally

rather than conceptually. That is, they do not contribute to the propositional content of an utterance, but instead serve to guide the hearer or reader toward the intended interpretation by constraining the range of possible contextual inferences.

Fraser's taxonomy divides DMs into several types:

- Elaborative markers (e.g., "furthermore", "in addition"),
- Contrastive markers (e.g., "however", "on the other hand"),
- Inferential markers (e.g., "therefore", "as a result").

Each type serves to express a specific discourse relation, aiding in the logical development of arguments and structuring of information.

2.4 Empirical Research Findings on DM Use in EFL Contexts

Empirical research on EFL learners' use of DMs has produced several findings that can be grouped into three primary areas: frequency analysis, genre-specific analysis, and writing-quality correlation.

1. Frequency Analysis

Studies reveal repetitive reliance on a limited set of DMs, often due to first language (L1) interference and insufficient instruction. Arabic-speaking learners, for instance, frequently overuse simple coordinators like “and” while underutilizing more precise connectors like “however” or “consequently.” This lack of variety negatively affects the coherence and depth of written arguments.

2. Genre-Specific Analysis

DM use differs across text types. Argumentative essays usually involve a higher number of contrastive and inferential DMs to strengthen reasoning and transitions between claims. Narrative and descriptive texts, by contrast, may rely more heavily on temporal markers such as “then,” “afterward,” or “eventually.”

3. Writing-Quality Correlation

Some studies have found a direct relationship between DM accuracy and writing proficiency. Learners who employ a broader range of DMs with appropriate placement tend to achieve better organization and flow in their

writing. However, findings are mixed, with some research indicating that even correct DM use does not always correlate with high writing scores, especially when overall text structure is weak.

2.5 Pedagogical Interventions and Instructional Models

Numerous teaching methods have been explored to address the misuse of DMs by EFL learners.

1. Traditional Approaches

Traditional approaches focus on rote memorization or vocabulary-based instruction of DMs. While this method can build passive recognition, it rarely promotes active, functional use, especially in complex writing tasks.

2. Lexical and Input Strategies

Lexical approaches encourage learners to acquire common DM phrases as “chunks.” Although helpful in conversation, this approach is less effective in academic writing due to the functional specificity of DMs. Input flood strategies increase exposure to target structures but do not ensure

learners will internalize or use them productively unless paired with deeper engagement.

3. Consciousness-Raising (CR) Activities

Consciousness-raising is the most effective strategy supported by research. Based on Schmidt's (1990) Noticing Hypothesis, CR activities help learners recognize, analyze, and apply DMs in meaningful contexts. Examples include:

- Highlighting DMs in authentic texts,
- Sorting DMs by function,
- Comparing writing samples with and without DMs,
- Rewriting exercises using alternative DMs.

Such tasks build metalinguistic awareness and promote accurate production. Educators are encouraged to embed CR activities within writing instruction in a progressive format—starting with recognition and moving to production—to achieve long-term improvement.

3. Methodology

3.1 Research Design

A qualitative approach conducted within a quasi-experimental framework is used to evaluate students' usage of discourse markers (DMs) in essay writing. The study references Halliday and Hasan's (1976) taxonomy of cohesion and Rhetorical Structure Theory (RST) by Taboada and Mann (2006) to assess cohesion and coherence. Because random assignment was not feasible, the design uses non-random existing groups—second-year English majors at Idleb University. Despite inherent limitations (e.g., lack of full control over variables), quasi-experimental designs are noted for higher external validity and real-world application.

Data collection involves:

- Pre-test/post-test assessments
- Multiple-choice cloze tests
- Five-paragraph essay writing tasks

• Observation

These methods aim to determine the correct, incorrect, and under-/over-use of DMs.

3.2 Participants

The study sample includes 75 female second-year English literature students aged 19–22, all Arabic speakers from Idleb University. All had prior instruction in paragraph and short essay writing and were exposed to DMs indirectly (e.g., through lessons on adverbs and conjunctions). From this group, 20 essays were randomly selected for analysis, excluding the strongest and weakest ones to maintain reliability and validity. The instructor's familiarity with students' capabilities strengthened the evaluation process.

3.3 Description of Treatment

The intervention consisted of five instructional sessions over five weeks, supervised by an experienced writing instructor.

Session 1: Pre-test

• 10-item cloze test to assess students' recognition of DMs

• Essay writing on "The role technology plays in making life easier and more interesting"

• Aimed to establish a baseline of students' DM usage

Sessions 2–4: Treatment

• Focus on Fraser's (1999) classification of DMs: contrastive, elaborative, inferential, and reason-based

• Instruction used authentic academic essays

• Consciousness-raising activities included:

• Underlining DMs in texts

• Explaining their syntactic, semantic, and pragmatic functions

• Corrective feedback for inappropriate DM use

• Discourse Completion Tests (DCTs)

• Semantic correction tasks (true/false and explanation-based)

Session 5: Post-test

• Another cloze test and essay ("Advantages and disadvantages of watching TV by children")

• Essays from the same 20 participants were analyzed

• The comparison between pre- and post-tests assessed learning outcomes and intervention efficacy

3.4 Instruments and Data Collection Procedures

3.4.1 Content Analysis

A core tool for identifying patterns and frequency of DM usage across texts. While valuable, it's time-intensive and sometimes lacks contextual depth.

3.4.2 Observation

Used to examine behavior and engagement during sessions. Conducted as non-participant observation, allowing the researcher to record data objectively without influencing the group.

3.4.3 Discourse Completion Test (DCT)

These tests measure students' pragmatic understanding and are effective due to:

- Anonymity
- Flexibility in variable manipulation
- Suitability for capturing socio-pragmatic competence

Students were evaluated on their ability to select appropriate DMs, reflecting their grasp of coherence and textual organization.

3.4.4 Written Assignments

Provided authentic data for evaluating real-world application of DMs. Essay analysis was central to identifying improvement post-intervention.

4. Data Analysis and Discussion

1. Overview of Assessment and Approach

The data analysis followed a mixed-methods approach. Quantitative data were extracted from cloze test scores, while qualitative insights emerged from analysis of students' essays and observational notes. The research aimed to explore not only the frequency but also the functional and syntactic accuracy of DMs in students' writing.

2. Cloze Test Performance Analysis

The cloze test administered before the treatment revealed a generally weak grasp of discourse markers. Most errors stemmed from underuse, overuse, or misuse of DMs. In particular, students overused basic markers such as "and" and "also," indicating limited variety in their writing. Post-treatment results, however, showed a significant reduction in DM-related errors for 55% of participants. These students demonstrated improved awareness of the grammatical and semantic functions of DMs. The improvement was most notable in elaborative and contrastive markers. While some issues

persisted with causal and inferential DMs, the overall trend suggested that CR activities contributed positively to students' understanding and application of these markers, as shown in Table 1:

Table 1: number of errors in the cloze tests in the pre/post-test

	S1	S2	S3	S4	S5	S6	S7	S8	S9	S10
PRETEST	1	4	2	2	1	3	6	2	0	3
POSTTEST	1	2	3	2	0	1	1	1	0	1

	S11	S12	S13	S14	S15	S16	S17	S18	S19	S20
PRETEST	0	1	3	2	2	5	3	2	3	2
POSTTEST	1	2	0	0	3	4	2	1	3	2

3. Written Assignment Results

Pretest essays were characterized by disjointed sentence structures and simplistic use of basic DMs. Many students failed to use higher-level DMs such as "however," "although," or "therefore," relying instead on

rudimentary connectors. This affected the overall coherence and flow of their writing. The dominant patterns included overuse of additive DMs and syntactic errors associated with DM placement.

Post-treatment essays demonstrated marked improvement in coherence and structural variety. Students such as S1, S4, S5, and S18 exhibited significant progress, incorporating a wider range of DMs accurately. For instance, S1 moved from short, unrelated sentences to complex sentences using a variety of contrastive and inferential DMs, showing a more logical flow of ideas.

Table 2: A sample of analyzing the frequency of DMs used in students' essays in the pretest

FREQUENCY OF	S1	S2	S3	S4	S5	S6	S7	S8	S9	S10
ELABORATIVE DMS	6	5	9	11	10	4	8	13	16	9
CONTRASTIVE DMS	0	0	0	0	0	0	0	0	3	3
EXEMPLIFIERS	1	1	2	1	3	2	3	1	6	0

INFERENTIAL DMS	0	0	0	0	0	0	1	0	0	0
REASON DMS	0	2	1	2	1	1	2	2	1	2
CONCLUSIVE DMS	1	1	1	0	0	1	1	1	1	0
TOTAL	8	9	13	14	14	8	15	17	28	14

FREQUENCY OF	S11	S12	S13	S14	S15	S16	S17	S18	S19	S20
ELABORATIVE DMS	12	9	8	18	11	17	13	6	6	18
CONTRASTIVE DMS	2	1	0	1	0	1	3	0	1	1
EXEMPLIFIERS	3	2	0	2	2	4	1	1	2	1

INFERENTIAL DMS	0	1	0	0	1	0	0	1	0	1
REASON DMS	0	1	0	0	2	0	1	0	1	1
CONCLUSIVE DMS	0	1	1	1	0	1	1	0	1	1
TOTAL	17	15	9	22	16	23	19	8	11	23

Table 3: A sample of analyzing the frequency of DMs used in students' essays in the post-test

FREQUENCY OF	S1	S2	S3	S4	S5	S6	S7	S8	S9	S10
ELABORATIVE DMS	17	10	12	7	15	12	16	11	12	9

CONTRASTIVE DMS	2	3	1	2	3	1	0	3	2	2
EXEMPLIFIERS	2	0	0	2	1	0	2	0	3	1
INFERENTIAL DMS	1	2	0	3	1	0	5	1	0	0
REASON DMS	1	0	2	3	3	1	1	2	2	2
CONCLUSIVE DMS	1	2	1	1	1	1	1	1	2	1
TOTAL	24	17	16	18	24	15	25	18	21	15

FREQUENCY OF	S11	S12	S13	S14	S15	S16	S17	S18	S19	S20
ELABORATIVE DMS	19	23	10	16	19	16	12	15	9	15
CONTRASTIVE DMS	0	1	0	1	1	1	1	4	1	3
EXEMPLIFIERS	1	0	0	2	2	1	2	2	1	0
INFERENTIAL DMS	2	2	0	0	2	1	1	4	2	0
REASON DMS	0	5	0	0	3	2	1	3	3	1

CONCLUSIVE DMS	0	0	1	1	0	1	1	1	1	1
TOTAL	22	30	11	20	27	22	18	29	17	20

Table 4 Comparison between the frequency of each type of DM in the pretest and posttest

TYPE OF DMS	FREQUENCY OF DMS IN THE ESSAYS	
	Pre-test	posttest
ELABORATIVE	170	275
CONTRASTIVE	16	32
EXEMPLIFIERS	38	22
INFERENTIAL	5	27
REASON	20	35
CONCLUSIVE	14	19

4. Changes in Writing Style and Sentence Complexity

The intervention also influenced sentence complexity. Students transitioned from simplistic constructions to compound and complex sentences. There was an increased use of subordinate clauses and proper punctuation around DMs. For example, S7 and S9 used DMs such as “nevertheless,” “in contrast,” and “as a result” to construct logical transitions between ideas. This shift indicated not only improved DM usage but also an enhanced understanding of sentence structure and coherence. Such developments are crucial indicators of academic writing maturity in EFL contexts.

5. Student Group Performance Trends

The students were categorized into three groups based on test performance: those with no improvement, those with increased errors, and those with improved results. Group 3, the largest, showed substantial gains in the appropriate use of elaborative and inferential DMs. This group benefited most from the CR activities and reflected the success of the intervention. Groups 1 and 2 exhibited minor or no changes. Some

students in these groups continued to struggle with misuse, indicating that while CR was effective for many, others may require more individualized or prolonged instruction.

6. Frequency and Pattern Analysis of DM Usage

Quantitative analysis showed that the most frequently used DMs after the intervention were chronological, emphasis, and conclusive types. This marked a shift from the pretest phase, where basic additive markers were overrepresented. The posttest essays showed an expanded DM inventory, with better distribution and functionally accurate use. Nevertheless, some students misused complex DMs such as “although,” often pairing them incorrectly with “but,” or placing them in grammatically unsuitable locations. This error highlighted the persistent influence of L1 structures and the need for continuous grammatical reinforcement.

7. Observation Notes and Learner Perceptions

Observations during the CR sessions revealed a tendency among students to view DMs as optional or stylistic, rather than functional elements crucial to coherence. In early exercises, many defaulted to “and” when prompted to connect ideas. The researcher noted that students often memorized DMs without fully understanding their logical function. For example, student S13 performed exceptionally in the cloze test but failed to demonstrate the same level of DM competence in her essay. This disconnect underscored the challenge of transferring passive recognition into active, meaningful use in writing.

8. Pedagogical Impact of CR Activities

The CR activities had a notable impact on students’ awareness of different categories of DMs and their correct usage. Students became more confident in applying a broader range of DMs in varied contexts. Essays post-intervention demonstrated improved syntax, a richer vocabulary, and increased logical clarity.

The instructional techniques, including collaborative exercises, text analysis, and rewriting tasks, played a central role in internalizing DM usage. These findings affirm the value of CR methods in developing pragmatic competence among EFL learners.

9. Lingering Challenges and Limitations

Despite the improvements, challenges persisted. Some students continued to misuse DMs or placed them awkwardly in sentences. These issues were attributed to L1 interference, lack of exposure, and the short duration of the treatment. The analysis suggested that a longer, more iterative intervention cycle may be needed to reinforce accurate usage. Misuse of inferential and causal DMs remained common in certain students' essays, pointing to the need for more targeted instruction in these categories.

5. Conclusion:

Key findings indicate:

• Students improved in their correct and varied use of DMs after the treatment.

• Post-treatment essays included more elaborative, contrastive, and causal DMs, showing reduced dependence on overused markers.

• CR activities helped students understand the functional value of DMs, resulting in clearer, more coherent writing.

• Observations suggest students were previously unaware of the importance of DMs in structuring texts; CR strategies bridged this gap.

• The enhanced writing quality post-treatment highlights the pedagogical value of explicitly teaching DMs through structured awareness activities.

5.1 Pedagogical Implications

This study provides evidence that CR activities effectively enhance academic writing in EFL contexts by improving DM use. Key instructional recommendations include:

• Embedding CR tasks into writing curricula to build metalinguistic awareness.

• Training instructors in designing student-centered, DM-focused activities.

• Encouraging learners to study academic texts for DM usage patterns.

• Creating hands-on writing sessions to practice varied DM integration.

These steps support the development of coherent, high-quality writing skills in EFL learners and contribute to English for Academic Purposes (EAP) research and practice.

5.2 Recommendations for Future Research

Future studies should:

• Include male participants to explore possible gender-related effects.

• Investigate different CR activity types across various language skills and genres.

• Use additional tools such as interviews or learner journals for deeper insight.

• Explore the use of digital tools and platforms in delivering CR activities, especially in online or blended settings.

References

Alghamdi, E. A. (2014). Discourse markers in ESL personal narrative and argumentative papers: A qualitative and quantitative analysis. International Journal of Humanities and Social Science, 4(4), 294–305. https://www.researchgate.net/publication/261287667

Akef, A. (2007). *The impact of cultural and linguistic transfer on EFL writing. Journal of Language and Linguistic Studies*. 3 (2), 45-56.

Blakemore, D. (1987). *Semantic constraints on relevance*. Oxford: Blackwell.

Bouzar, S. (2016). The effect of consciousness-raising tasks on improving Algerian EFL students' use of discourse markers in speaking. *American Scientific Research Journal for Engineering, Technology, and Sciences (ASRJETS)*, *22*(1), 138-152. https://www.researchgate.net/publication/341354049

Bowen, T., & Marks, J. (1994). *Inside teaching*. London: Macmillan

Daif-Allah, A. S., & Albesher, K. (2013). The use of discourse markers in paragraph writings: The case of Preparatory Year Program students in Qassim University. *English Language Teaching*, *6*(9), 217 227. https://doi.org/10.5539/elt.v6n9p217 .

K. Beeching & H. Woodfield (Eds.), *Researching sociopragmatic variability: Perspectives from variational, interlanguage and contrastive pragmatics* (pp. 253–275).

Fareh, S., Jarad, N., & Yagi, S. (2020). How well can Arab EFL learners adequately use discourse markers? *International Journal of Arabic-English Studies*, *20*(2), 85–98. https://doi.org/10.33806/ijaes2000.20.2.4 .

Feng, L. (2010). Discourse markers in English writing. *The Journal of International Social Research*, *3*(11), 299–305.

Fraser, B. (1999). What are discourse markers? *Journal of Pragmatics*, 31(7), 931–952. https://doi.org/10.1016/5.

Fung, L., & Carter, R. (2007). Discourse markers and spoken English: Native and learner use in pedagogic settings.

Halliday, M. A. K., & Hasan, R. (1976). *Cohesion in English*. London: Longman.

Hernández, T. A., & Rodríguez-González, E. (2013). Impact of instruction on the use of L2 discourse markers. *Journal of Second Language Teaching and Research*, *1*(1), 3–27. https://epublications.marquette.edu/span_fac/19.

Schiffrin, D. (1987). *Discourse markers*. Cambridge: Cambridge University Press.

Schmidt, R. (1990). The role of consciousness in second language learning. *Applied Linguistics*, 11(2), 129–10.

Sperber, D., & Wilson, D. (1986). *Relevance: Communication and cognition*. Oxford: Blackwell.

Taboada, M., & Mann, W. C. (2006). Rhetorical Structure Theory: Looking back and moving ahead. Discourse Studies, 8(3), 423–459.